

السودان

٢٠١٩

نقطة ومن أول السطر

التنظيم المكاني للاعتصام

التسلسل الزمني للأحداث

رموز الثورة يحمل مئات الرجال والنساء والأطفال إلى قلب الاعتصام بالخرطوم.

■ **مايو:** تصاعد التوترات بين المدنيين والعسكريين. المجلس العسكري يطلق النار على المتظاهرين مخلفاً قتلى. تواصل المفاوضات لتحديد شروط الفترة الانتقالية على رئاسة الدولة.

■ **٣ يونيو:** إخلاء الاعتصام بحمام من الدم. قتل الكثير من المتظاهرين خلال الإخلاء. رمي بعض الجثث في النيل في الأيام اللاحقة. حرق الخيام.

■ **٣٠ يونيو:** المليونية. مظاهرة مليونية قوية لشعب أكثر تصميمًا من أي وقت مضى على مواصلة المقاومة.

■ **يونيو إلى أغسطس:** تواصل المفاوضات بين المدنيين والعسكريين بوساطة من الاتحاد الأفريقي، وإثيوبيا، والولايات المتحدة الأمريكية. الاتفاق الدستوري الموقع شهر أغسطس يضع أسس فترة الانتقال السياسي التي تتواصل حتى انتخابات عام ٢٠٢٢. بجانب المجلس العسكري الانتقالي، تم تشكيل حكومية مدنية بقيادة عبدالله حمدوك

■ **ديسمبر ٢٠١٨:** مظاهرات شعبية حول البلاد. متظاهرون يحرقون مكاتب الحزب الوطني بالدمازين يوم السابع عشر وبعطبرة يوم التاسع عشر. المظاهرات تتمدد إلى كل من دنقلا، والقضارف، وكسلا، والأبيض، وود مدني، ونيلابا.

■ **٢٠ ديسمبر:** المظاهرات تصل إلى العاصمة الخرطوم وتتواصل خلال شهر. آلاف المتظاهرين يعتقلون. الأمن القومي يقتل أوائل شهداء الثورة.

■ **٦ أبريل ٢٠١٩:** يتوجه المتظاهرون إلى مباني القيادة العامة ويسيطرون على الشوارع المجاورة، كانت هذه بداية ما سمي باعتصام القيادة بالخرطوم. دفع بعض الشهداء دمائهم من أجل مواصلة هذا الاعتصام.

■ **١١ أبريل:** سقوط الرئيس عمر البشير. إعلان المجلس العسكري بقيادة المشير ابن عوف لتشكيل المجلس العسكري الانتقالي، إغلاق المطار، إيقاف النشاطات البرلمانية وحظر التجول.

■ **١٢ أبريل:** تحدي المتظاهرون لحظر التجول. سقوط ابن عوف وتولي المشير عبد الفتاح. مواصلة الاعتصام حتى أصبح هذا الأخير رمزاً لثورة ديسمبر المجيدة.

■ **٢٣ أبريل:** قطار عطبرة الذي أصبح أحد

حضرت هذه الخريطة سهى بابكر

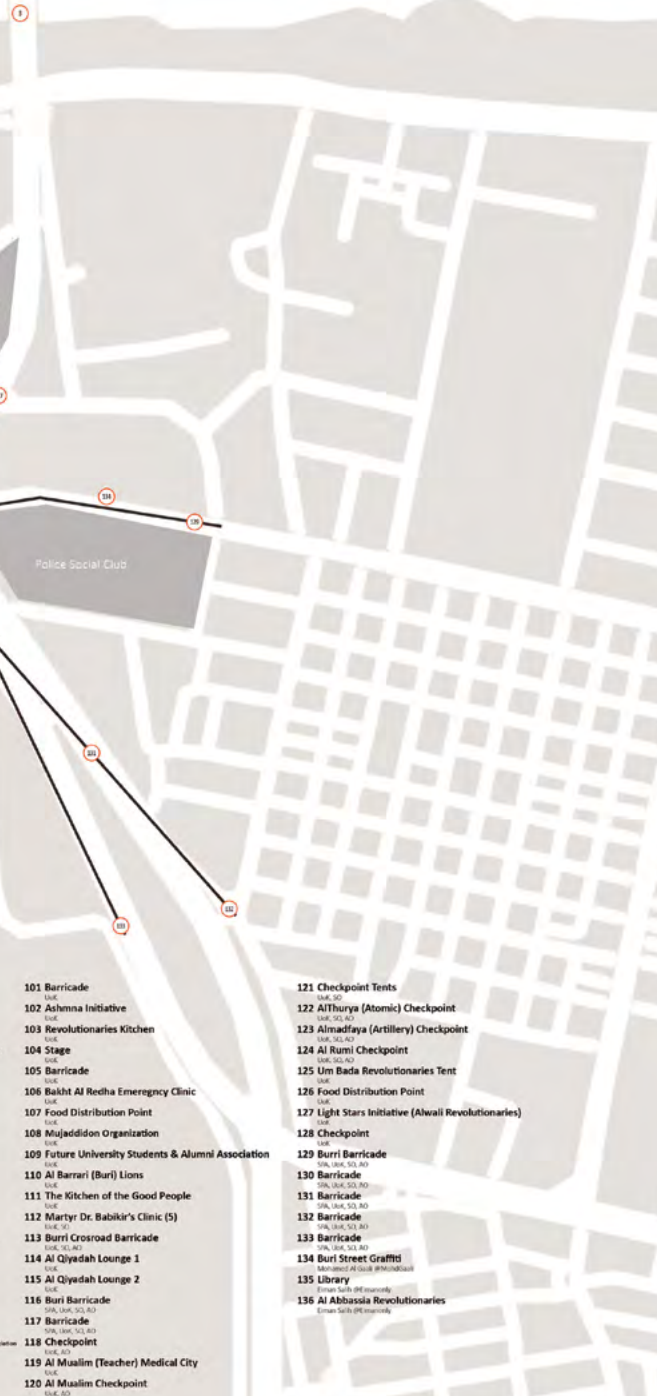
من مجموعات متاحة على وسائل التواصل الاجتماعي (تويتر وفيسبوك) وبعض الأعمال الفردية والجماعية.

انظر الموقعين الاجتماعي:

sudanrevolution.org

sudanrevolutionart.org

تم ضبط الخريطة العامة من خريطة أصلية حضرتها شبكة مهندسي جامعة الخرطوم. وتم إضافة البيانات التي تم حصرها تجمع المهنيين السودانيين وأحمد سيف وأميرة عثمان وسمير ر. عثمان وآخرون.





الصور

أحمد أنو الصفحات ٣ و ١٤ و ٢٨ و ٣٨ و ٥٧ و ٨١ و ٨٨ و ٨٩ و ١١٥ و ١٣٩

و ١٤١ و ١٤٣ و ١٤٤

ضحى محمد الصفحات ٧ و ٤٤ و ٧٤ و ٧٥ و ١٤٠

اينثار جبارة الصفحة ٧٠

هند مدب الصفحات ٨٧ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٣١ و ١٣٥

عصام حفيظ الصفحات ٢٠ و ٦١

جان نيكولا باك الصفحة ٣٠

ميتشي جعفر الصفحات ١٥ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٤٥ و ٥١ و ٦٢ و ٦٦

و ٦٩ و ١٢٣ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٧ و ١٣٦ و ١٣٨

محمد كيتا الصفحات ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٨-١١٩

محمد نور الدين الصفحات ١٦ و ٢٩ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٨ و ٦٠ و ١١٧ و ١٢٥

محمد السماني الصفحات ١٨ و ١٩ و ٧٦

مجاهد ابوالقاسم عوض الصفحات ٦١ و ٧٧ و ٩١

أسامة ابوزيد الصفحة ٤٣

سعد التني الصفحات ٦٢ و ٦٧ و ٦٨ و ٧٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٧ و ٩٨ و ١٠٢ و ١١٦ و ١٢٨

ساري عمر الصفحة ٥٢

سهى بركات الصفحات ١٨ و ٨٠ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٢٤ و ١٣٨

علا عثمان الصفحات ٧٨ و ٩١ و ٩٢ و ١٤٢

كل الحقوق محفوظة

السودان

٢٠١٩

تحت إشراف جان-نيكولا باك وفابريس مونچيا

هذا الكتاب ليس له أي طموح آخر سوى تقديم شهادة مُصَوَّرَة لما أُتيحت لي فرصة مشاهدته أثناء ترددي على إعتصام الخرطوم خلال شهري نيسان/أبريل وأيار/مايو 2019. أود أن أعرب عن عميق شكري وامتناني لرفيقي في هذا المكان الفريد: اللذين صاحباني على الدرب، وكنا نلتقي معًا من وقت لآخر لتناول الشاي.

كما أشكر بحارة فابريس مونجيا Fabrice Mongiat لنصائحه الثمينة، ولما أبداه منذ البداية من اهتمام حثيث بهذا الكتاب وبالمعرض الذي قبل استضافته دون تردد في مقر المعهد الفرنسي الذي يديره في السودان. والشكر موصول كذلك لسفيرة فرنسا إيمانويل بلاتمان Emmanuelle Blatmann ولپاسكال هانس Pascal Hanse وإدارة الشؤون الثقافية التابعة للسفارة الفرنسية بالسودان؛ لما قدموه من دعم مالي كبير أتاح لنا إنجاز هذا الكتاب.

كما أود أن أعرب عن خالص شكري لأوليقيه كابون Olivier Cabon، المُحرِّر والمُصَوِّر، الذي لم يتردد هو الآخر عندما اقترحت عليه إصدار هذا العمل من خلال دار سولاب للنشر editions Soleb، والذي كان كريمًا للغاية في تصميم هذا الكتاب بمعاونة إيزولد غويغان Izold Guégan و ليا لوقوي Léa Legouix. كما أوجه الشكر للمُصَوِّرَة الفوتوغرافية جوليات أجنل Juliette Agnel التي أسهمت بدور فعّال في هذا الكتاب من خلال المجهود الخارق الذي بذلته مع المصورين السودانيين، ولكن أيضًا بفضل موهبتها الخاصة كمُصَوِّرَة.

ويعود الفضل في هذا الكتاب كذلك إلى كرم وسخاء هند مدب Hind Meddeb التي خصتنا بالمقابلات التي أجرتها في إطار الاعتصام وبالصور الفوتوغرافية وبالقصائد التي جمعتها بهذه المناسبة وترجمتها مع كل من: محمد الأمين وعمر عمران وعامير بشير. كما أود أيضًا أن أشكر باتريس روتيج Patrice Rötig ودار نشر Bleu autour على ثقتهم وكفاءتهم المهنية مما أعطى

طموحًا ورؤية جديدة لهذا المشروع. وأوجه كذلك شكرًا واجبًا لعماد عدلي الذي لا يمكن التغاضي عن عمله الشاق والدقيق والتمين ك مترجم.

الشكر موصول كذلك لأصدقائي وزملائي وجميع المساهمين الذين تفانوا بكل شغف وحماس في صياغة مضمون هذا الكتاب: سارة هيبه، ووفاء آدم، ومضوي حسن، وعبد هسين، ومحمد عبد الباقي بخيت، وعزة مصطفى، وهبة دياب، وهند حسين، وياسر عوض، وفابريس مونجيا، ومحمد موسى، وتامر عبد الكريم، وصدام فارس، وعزة أحمد، وهند مدب، وأسامة أبو زيد. أخيرًا، أتوجه بجزيل الشكر بطبيعة الحال إلى هؤلاء المُصَوِّرِين الرائعين الذين قابلتهم على مدار الأسابيع سواء في ساحة الاعتصام أو خلال الأشهر التالية، أشكرهم ليس فقط على الصور التي شاركوا بها على صفحات هذا الكتاب، ولكن أيضًا للمخاطر التي تكبدونها رجالًا ونساءً من أجل التقاطها في ميدان الاعتصام أو المنطقة المحيطة؛ ومنهم: عدي (الذي قابلته في الاعتصام والذي ذمّرت صوّرة للأسف في 3 حزيران/يونيو)، وأحمد أنو، وضحي محمد، وإيثار جبارة، وهند مدب، وعصام حفيظ، وميتش جعفر، ومحمد السماني، ومحمد كيتا، ومحمد نور الدين، ومحمد صلاح، وأسامة أبو زيد، وسعد الطني، وسري عمر، وسها بركات، وعلا عثمان. هذه الصور الفوتوغرافية تحمل رسائل ودروس كثيرة حول الالتزام والشجاعة، نأمل أن يكون هذا الكتاب على قدر مكانتهم. نحن مدينون لسها بابكر بالخريطين المنشورتين على الغلاف الداخلي للكتاب، التي جمعتما استنادًا إلى البيانات التي قدمها رفاقها.

ختامًا، أشكركم جميعًا من أعماق قلبي، كما أشكر كل السودانيين والسودانيات الذين خاطروا بحياتهم من أجل المشاركة في مثل هذا الحدث الثوري والسلمي الرائع ■

جان-نيكولا باك
Jean-Nicolas Bach



أحمد انو، ١٨ ابريل ٢٠١٩

- 1 **الْعَامُ صَفْرٌ؟** — جان-نيكولا باك *
صفحة ٦
- 2 **إِعْتِصَامُ الْقِيَادَةِ الْعَامَّةِ** — جان-نيكولا باك *
صفحة ٨
- 3 **6 أبريل، كرنفال الحرية** — محمد عبد الباقي بخيت
صفحة ١٧
- 4 **الثَّوْرَةُ السَّلْمِيَّةُ وَقِيَادَةُ الْمَرْأَةِ** — عزة مصطفى، أكاديمية،
صفحة ٢٣
مهمة بقضايا الديمقراطية والمجتمع المدني
- 5 **مُعْجَمٌ مُوجَزٌ لِهَيْئَاتِ الثَّوَرَةِ** — هبة دياب وضحي بكري
صفحة ٣١
- 6 **تَسْقُطُ بَسْ!** — هند حسين
صفحة ٣٩
- 7 **الشَّعْرُ فِي الْقِيَادَةِ/حَمِيدٍ فِي الْقِيَادَةِ** — ياسر عوض عبدالله الطاهر
صفحة ٤٩
- 8 **الْحَاجَةُ الْمَاسَّةُ لِلْفَنِّ!** — فابريس مونچيا *
صفحة ٥٣
- 9 **الْفَنُّ وَالثَّوْرَةُ: الْحُرِّيَّةُ وَالسَّلَامُ وَالْعَدَالَةُ** — فابريس مونچيا
صفحة ٥٩
و محمد موسى *
- 10 **الْمَتَارِيسُ كَحُدُودٍ وَكَمُؤَشِّرٍ لِلشَّرْعِيَّةِ وَالسِّيَادَةِ** — تامر محمد
صفحة ٦٣
أحمد عبد الكريم سيد أحمد

- 11 كُولُومْبِيَا السُّودَانِيَّةِ.. الْوَجْهُ الْآخَرُ لِلْمُجْتَمَعِ — عزة مصطفى صفحة ٧١
- 12 إِدَارَةُ جُمْهُورِيَّةِ الْإِعْتِصَامِ — صدام فارس محمد أحمد النور صفحة ٨٣
- 13 الْهَوَامِشُ فِي ثَنَائِهَا الْإِعْتِصَامِ — جان-نيكولا باك * صفحة ٩٣
- 14 ثَوْرَةٌ مَا بَعْدَ الْإِسْلَامِيِّينَ — هند مَدَبْ * صفحة ١٠٣
- 15 مِنَ الْحِمَايَةِ إِلَى الْخِيَانَةِ — تامر محمد أحمد عبد الكريم سيد أحمد صفحة ١٠٩
- 16 30 حَزِيرَانِ/يُونِيُو 2019 عَلَامَةٌ فَارِقَةٌ وَبَارِقَةٌ أَمَلٍ جَدِيدٍ — أسامة أبوزيد نقد صفحة ١١٩
- 17 أَصَوَاتُنَا، أَسْلَحَتُنَا — هند مَدَبْ * صفحة ١٢٩
- 18 وَكَذَلِكَ — هذه الصور الأخرى صفحة ١٣٦

تمت ترجمة النصوص التي تحمل علامة النجمة * من الفرنسية إلى العربية بواسطة عماد عدلي

عندما اقترح علي أوليفيه كابون Olivier Cabon فكرة تسمية هذا الكتاب «السودان في العام صفر» — في إشارة إلى فيلم المخرج الإيطالي روبرتو روسيليني Roberto Rossellini الذي صدر عام 1948 تحت اسم «ألمانيا في العام صفر»، والذي يُبرز مدى الدمار الذي حاق بدولة ألمانيا، إبان الحرب العالمية الثانية — أعترف بأن هذه الفكرة لم تستهويني على الفور، ولم أتحمس لها كثيرًا. إعادة بناء كل شيء من جديد: لا بأس؛ فهذا هو القاسم المشترك الذي يجمع بين حالي ألمانيا والسودان. بيد أن الآليات والظروف والملابسات التي قادت إلى سقوط هذين النظامين كانت متباينة تباينًا جوهريًا، وأقصد بذلك الحرب العالمية في ألمانيا، والثورة الشعبية في السودان، فضلًا عن ذلك لم أكن أود أن يساور القارئ شك حول فكرة العودة إلى نقطة البداية و«البدء من الصفر». لم تكن الرسالة التي أردت إيصالها تتعلق بقطيعة جذرية على هذا النحو، ربما تكون في اعتقادي ضربًا من الوهم، بل على النقيض من ذلك، فإن الطاقات الاجتماعية والأطراف الفاعلة التي كانت متواجدة قبل ثورة كانون الأول/ديسمبر 2018 بشكل عام، وقبل الاعتصام (6 نيسان/أبريل — 3 حزيران/يونيو 2019) على نحو الخصوص ستواصل البقاء والتدخل سياسيًا على العديد من المستويات، وفي العديد من دوائر المجتمع السوداني، على الرغم من التغيرات التي بدأت تدب في أوصال هذا المجتمع.

ومن ثم، فإن فكرة «العام صفر» لا تتعارض بالضرورة مع فكرة الاستمرارية، حتى في ظل الأوضاع الثورية؛ إذ إن النظام السياسي، والأطر الاجتماعية، ومنظومات القيم لا يمكن أن تتغير بشكل مفاجئ وجذري، فلا تزال أجهزة الدولة تدار على نطاق واسع من قبل فلول الحزب المهيمن الذين تبوءوا مناصب عليا عن طريق الأيديولوجية، أو الانتهازية، أو الإذعان. كما أن الدعائم الإسلامية لنظام عمر البشير، والممارسات الوحشية والمتعصبة التي رافقتها على مدار ثلاثة عقود ستستغرق بالمثل عدة سنوات لتتلاشى تدريجيًا. وبعبارة أخرى لن يتعين على السودان مواجهة عناصر المقاومة فحسب، بل أيضًا فلول النظام البائد، والانتهازيين، إلى جانب المستفيدين وأصحاب المصالح الذين فضّلوا السباحة مع التيار دَرءً للمشاكل.

هناك ثمة حاجة للاستمرارية التي لها أهميتها، وإذا كان الاعتصام يمثل أحد العلامات البارزة في ثورة كانون الأول/ديسمبر 2018، فسيكون من الخطأ اعتباره مجرد فترة وحيزة بين هلالين تغلق بشكل مأساوي ونهائي في الثالث من حزيران/يونيو 2019. ومثل أي حقبة ثورية، ينبغي إدراج اعتصام الخرطوم أيضًا في سياق زمني أوسع. وهنا، كما هو الحال في أي مكان آخر، فإن الوقت الطويل يكون له الغلبة. وستقع على عاتق العلوم الإنسانية والاجتماعية مهمة وضع هذه اللحظة في سياق تاريخ السودان من خلال تحليل جذورها، وتحديد أطرافها الفاعلة، وتوثيق سماتها غير المسبوقة.

ولكن بعد إمعان النظر، بدالي أنه على الرغم من تباين الدوافع والمسارات — شريطة أن ننحّي جانبًا فكرة إمكانية «البدء من الصفر» — فإن المقارنة بين ألمانيا والسودان ربما لا تخلو من الوجهة. وستبقى الإبادة الجماعية لملايين اليهود على أساس عرقي إبان الحرب العالمية الثانية أو ما يُعرف بالهولوكوست «نموذجًا للوحشية والبربرية»، على حد تعبير الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني يورغن هابرماس Jürgen Habermas. ولكن ألم يرقم النظام السوداني، وفقًا لآليات مختلفة بالتأكيد، طيلة ثلاثة عقود بارتكاب الفظائع والمجازر التي أزهقت فيها أرواح مئات الآلاف من مواطنيه، والتعامل معهم في هذه الحالة أيضًا باعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية في جنوب البلاد، ودارفور، وجبال النوبة، والنيل الأزرق، وحتى في الخرطوم نفسها؟ لا يستهدف هذا الكتاب عقد مقارنة بين النازية وإسلاموية الإخوان المسلمين السودانيين المتحالفين والخاضعين لهيمنة العسكر، ولا الطبيعة المتباينة لعلاقاتهم مع الجهات الاقتصادية الفاعلة. إنني أنأى بنفسي عن ذلك، ولكن مع تفادي الوقوع في شرك المقارنات المُتسرعة، دعونا نلاحظ ببساطة أنه يتعين على السودان — أيضًا — إعادة بناء اقتصاد منهار، وتأسيس ركيزة وطنية جديدة، أيما كانت صيغتها، والتي من شأنها أن تمنح مختلف مكونات المجتمع الرغبة في العيش المشترك، بدلًا من المخاطرة بحياتهم على دروب المنفى والاعترا ببحثًا عن مكان آخر يصلح للعيش فيه ■

جان-نيكولا باك Jean-Nicolas Bach



في صبيحة الثالث من شهر حزيران/يونيو ٩١٠٢، شَنَّ مسلحون هجوماً على ساحة الاعتصام في مدينة الخرطوم، وقد اقترن فض الاعتصام بالعديد من أعمال العنف والحرق والضرب والقتل خلال بضعة ساعات، كما أسفرت تلك العملية عن سقوط شهداء فيما كان يُمثَّلُ طيلة أسابيع قلب الثورة النابض، ويُجسَّدُ الانتفاضة الشعبية ضد الاستبداد.

هذا الاعتصام ليس كغيره من الميادين الأخرى التي انبثقت من رَحِمِ «الربيع العربي»، وإنما مجموعة من الشوارع المتاخمة لمقر وزارة الدفاع (القيادة العامة) الذي يقع وسط العاصمة، في الناحية الشمالية الغربية لمطار الخرطوم. وقد تم تسييس تلك الشوارع التي صارت مُلتَقَى التجمع الشعبي الضخم في السادس من شهر نيسان/أبريل 2019 — أول «مَسِيرَة مليونية» منذ اندلاع ما يُسمَّى بثورة كانون الأول/ديسمبر 2018. وفي ذات اليوم، استحوذ المتظاهرون على هذا المكان، وحولوه من بؤرة للغضب^١ إلى مُتَنَفِّسٍ للأمل والحرية، ثم رويداً رويداً إلى منطقة مُنَظَّمة، وأخيراً إلى منصة لنشر الوعي العام والتعبير السياسي بواسطة اللوحات الجدارية الفنية الملونة. وفي الثالث من شهر حزيران/يونيو، أُحْرِقَت الخيام، والرايات، واللافتات، وصور الشهداء. وفي غضون أيام قلائل، طُمِسَت الجداريات بتغطيتها على عَجَلٍ بطلاء أبيض، وعادت تلك المنطقة إلى سابق عهدها، أي مجموعة من الشوارع المتاخمة لمقر وزارة الدفاع التي تقع وسط العاصمة، في الناحية الشمالية الغربية لمطار الخرطوم. وعلى مَدَى الأيام التالية، كانت جثامين الشهداء تطفو من حين لآخر على سطح النيل.

لكن هيهات أن يعود السودان كما كان من قبل، فقد أظهر الاعتصام أنه من الممكن التصرف بشكل مختلف، والعيش بشكل مختلف، والتخطيط للمستقبل بشكل مختلف. هذا الكتاب يضم بين ثناياه شهادات مكتوبة وصوراً فوتوغرافية تهدف إلى الحفاظ على هذه الذاكرة الجَمْعِيَّة.

ولا يتعلق الأمر هنا بمجرد تَذَكُّر الماضي لإحيائه، أو استدعاء حِقْبَة ثورية معينة، وإنما الاستمرار في استلهم الماضي لأولئك الذين يبنون السودان الجديد. وبمساعدة زملائي الباحثين والمُصَوِّرِينَ السودانيين، أردت أن أكون شاهداً على مرحلة تاريخية لم تَدُم أكثر من بضعة أسابيع فقط، واستعصى فهمها على الكثيرين. وقد تم جمع الصور، والقصائد، والأغاني، والنصوص المصاحبة لها من خلال معايشة خاصة لهذا المكان، سواء كان من منظور الأكاديميين، والنشطاء، والفنانين، والسينمائيين، والمُصَوِّرِينَ الفوتوغرافيين، أو كل هؤلاء معاً في آن واحد. ومن ثَمَّ يحدوني الأمل في أن يجد القارئ في هذا الكتاب لمحة عامة عن التَنَوُّع الثقافي والاجتماعي والسياسي الذي يمكن أن تفرزه ساحة الاعتصام، وأولئك الذين ضَخُّوا زَحْماً قوياً فيها من خلال الأغاني الثورية، والشعارات، والمنشورات، والخطابات، والصلوات، واللوحات. تهدف هذه الافتتاحية المُقْتَضِبَة إلى إيضاح سياق تلك الأحداث التي دارت رحاها في تناوب بين السلام والعنف، وبين الليل والنهار.

وَضَعُ التِّيدِ وَالْإِزْتِجَالِ

تنامت حركات الاحتجاج في عموم البلاد منذ عدة سنوات بالفعل. فبالإضافة إلى انسداد الأفق السياسي في ظل نظام عمر البشير الذي أحكم قبضته على البلاد منذ الانقلاب العسكري الإسلامي في عام 1989 تفاقمت الأوضاع الاقتصادية والظروف المعيشية بصورة كارثية (نتيجة التضخم الجامح، والعجز في توفر السيولة بالنقد الأجنبي، وأزمة المحروقات، والشح الهالع في المواد الغذائية الأساسية)؛ وهذا ما يفسر أيضاً القفزة النوعية

١ حوالي مائة وخمسون شهيداً حسب إحصاء نقابة أطباء السودان الشرعية. ومن المُقَرَّر أن تُقدِّم لجنة التحقيق تقريراً بالاستنتاجات التي توصلت إليها في غضون عام 2020.

٢ H. Combes, D. Garibay, C. Goirand (dir.), *Les lieux de la colère. Occuper l'espace pour contester, de Madrid à Sanaa*, Paris, Karthala, 2016.

في الاحتجاج عندما هاجم المتظاهرون رموز النظام، وأضرمو النيران في مقرات الحزب الحاكم (حزب المؤتمر الوطني) في عدة مدن بالبلاد في كانون الأول/ديسمبر 2018، لا سيما في مدينة عَظْبَرَة. أما الشعار الثوري الشهير «تَسْقُطْ بَس!» الذي ساد حينئذ فيؤشر إلى بلوغ نقطة اللاعودة، وقد اقترن منذ الأيام الأولى بشعار آخر «سَلَمِيَّة! سَلَمِيَّة!» يكشف عن الحالة الذهنية للثورة التي يجب أن تتمسك بسلميتها.

ومع مرور الأسابيع، بدأت الحركات الاحتجاجية تفقد زخمها وحماسها على ما يبدو، على الأقل حتى التَجَمُّع الجماهيري الهائل الذي تم تنظيمه في السادس من نيسان/أبريل 2019 بدعوة من تجمع المهنيين السودانيين المدعوم من قِبَلِ لجان المقاومة بالأحياء. تَحَثُّ الدعاوات المتظاهرين على التدفق بأعداد غفيرة صوب وزارة الدفاع لمطالبة المؤسسة العسكرية في النهاية بالانحياز للثورة بصورة واضحة وتوفير الحماية للشعب من أجل الضغط على النظام وإسقاطه. وعلى الرغم من انتشار قوات الشرطة المسئولة عن الحفاظ على النظام، وعناصر المخابرات و«الشرطة الشعبية»، كان التدفق الهائل للمواكب الذي فاق التوقعات أولى مفاجآت السادس من نيسان/أبريل.

تتمثل المفاجأة الثانية في فتح بوابات وزارة الدفاع أمام جحافل المتظاهرين بدعوة من العسكريين. ومن المُرجَّح أن الأجهزة الأمنية المُنْهَكَة بعد عدة أشهر من عمليات الكَرْ والفَرِّ والمطاردات عَبرَ أحياء المدينة لم يكن بوسعها الصمود أمام تلك الحشود الغفيرة من المتظاهرين. ومن المُحتمَل أيضاً أن بعض المبادرات من داخل أجهزة الأمن قد أجازت مرور هذه المسيرة السلمية نحو الوزارة. ما هو مُؤكَّد، على أي حال، هو أن جنود الصف الحاضرين قد انحازوا إلى صفوف الشعب، وصدوا الهجمات العنيفة التي تشنها الشرطة، معرضين أنفسهم لوابل من الرصاص والغاز المُسِيل للدموع، في تلاحم مع المتظاهرين. تم تخطي نقطة اللاعودة

عندما دعي الجنود المتظاهرين للمكوث في المكان، واعدن إياهم بالحماية اللازمة. من الآن فصاعداً، صار من الأهمية بمكان المثابرة في الجهود المبذولة والتشبث بالصمود؛ إذ إن المغادرة تعني المخاطرة بفقدان مكان الاحتجاج هذا الذي لم يسبق له مثيل والذي كانت الثورة في مسيس الحاجة إليه، ألا وهو ميدان اعتصام الخرطوم.

«لَا تُغَادِرْ لَيْلًا وَآلًا» سَيَاتُون لَلْقَبْضِ عَلَيْنَا»

وهكذا ضربت التظاهرات بجذورها في أرض الميدان، واستحالت الوقفات الاحتجاجية العابرة إلى اعتصام دائم، وأضحى كل فرد مُطالَبًا بالمساهمة في الجهد الجماعي: إمداد الاعتصام بالمياه والمشروبات، وجلب المواد الغذائية التي يتم نقلها يدوياً، أو بالسيارات، أو بوسائل النقل — أحياناً بواسطة شاحنات التوصيل، مثل شاحنات مجموعة الشركة المحدودة (المجموعة دال Dal Group) التي تولت مهمة نقل المواد الغذائية منذ الأيام الأولى. كما نُصِّبَت الخيام تدريجياً للوقاية من قِظ الشمس أثناء النهار، أو للنوم والخلود إلى الراحة ليلاً.

بَيَّدَ أن الليالي الأولى للاعتصام كانت أقل مَدْعَاة للاسترخاء منها للذعر والعنف. وفي الواقع، كان على المتظاهرين الذين مكثوا في المكان مواجهة الهجمات الليلية التي يشنها أفراد وصفوهم بـ «كتائب الظل» الذين يعملون لحساب بعض أنصار وأعوان النظام الذي كان يترنح حينئذ. كانت مدينة الخرطوم برمتها تستيقظ قبل الفجر على وقع تبادل إطلاق كثيف للنيران بين المليشيات والجنود الذين يتصدون لهم. وقد صمد المُحتَجُّون بفضل دعم الجنود وأسلحتهم الثقيلة التي أتاحت صد تلك الهجمات، ولكن أيضاً بفضل جموعهم الغفيرة. وقد انخرط أكثر النشطاء في إقناع المتظاهرين بعدم الانصراف والبقاء حتى وقت متأخر من الليل، وراحوا ينشدون: «لا تغادر ليلاً وإلا سيأتون للقبض علينا».

تتباين الآراء في أعلى مستويات السُّلطة السياسية ودوائر النفوذ. ويبدو أن أكثر الموالين تشددًا للرئيس يميلون إلى استخدام القوة لإخلاء الشوارع وتفكيك الاعتصام؛ فيما أدرك آخرون أن إزاحة عمر البشير عن السُّلطة وطيّ صفحته يمثل المخرج الوحيد للأزمة، هذا بالطبع إذا كانت لا تزال ثمة فرصة لإنقاذ النظام وإنقاذ أنفسهم. في صباح يوم الحادي عشر من نيسان/أبريل، أي بعد خمسة أيام فقط من بداية الاعتصام، تواصل بث المارشات العسكرية عبر أثير المذيع. كما ذاعت الشائعات حول وقوع انقلاب عسكري، واعتقال الرئيس عمر البشير. وفي تلك الأثناء، كان مئات الآلاف من السودانيين والسودانيات يحتلون الشوارع بالفعل، بصحبة العائلة والأصدقاء، وارتفعت أصوات نغير السيارات، ورفع المحتجون الأعلام السودانية فوق الأكتاف وعلى السيارات والحافلات مُلَوِّجِينَ بها، عندما أعلن رسميًا عن إقالة الرئيس: «لقد سقط!». عندئذ تنفّس الجميع الصُّعداء وانطلقوا باتجاه ميدان الاعتصام، نحو مقر القيادة العامة للقوات المسلحة.

من الواضح أن الثورات لا تسلك مسارًا مستقيمًا، بل تتجاذبها دروب الأفراح والآمال والانتصارات، وكذا الإحباطات والشجون وخيبات أمل. ويالها من خيبة أمل بالنسبة للسودانيين عندما رأوا الجنرال عوض بن عوف، الذي ساند عمر البشير ودان له بالولاء حتى اللحظات الأخيرة، يعلن إقالة هذا الأخير في الحادي عشر من نيسان/أبريل. وصاحب هذا الإعلان سلسلة من الإجراءات والتدابير من بينها إغلاق المطار، وفرض حظر تجوال يهدف إلى التخلص، هذه المرة بموجب اللوائح، من ليالي الاعتصام، أو بالأحرى من الاعتصام في حد ذاته. يَبْدُ أن كفة ميزان القوى ما تزال في صالح الشعب الذي تحدى برباطة جأش ودون تردد حظر تجوال غير واقعي، وغير مُجدٍ. وسرعان ما تَوَاكَبَ الشعارات مرة أخرى الإيقاع الثوري، وتصدح حناجر المتظاهرين: «تسقط ثاني!». واصل جنود الصف وبعض الضباط الدفاع عن ميدان الاعتصام والثورة. وفي اليوم التالي عندما تنحى الجنرال عوض بن عوف بدوره عن السُّلطة ملأت الطلقات النارية سماء الخرطوم تعبيرًا عن

الرضا والحبور. ومن جديد راح الاعتصام ينبض بإيقاعات الأمل. وبات بالإمكان تنظيم ساحة الاعتصام، ولفترة من الزمن، رسم مجتمع جديد مُتَخَيَّل، وفقًا لمفهوم المؤرخ الأيرلندي بنديكت أندرسون 'Benedict Anderson'.

الْإِنْعَكَاسُ الْمَشَوُّهُ لِلْمُجْتَمَعِ

على صعيد الساحة السياسية التي تُعَاوِدُ صحتها إنكَبَ ممثلو المدنيين (المتحدون تحت راية تجمع المهنيين السودانيين، والقوى السياسية الأخرى المنضوية تحت لواء قوى الحرية والتغيير منذ كانون الثاني/يناير 2019) على التفاوض حول شروط الانتقال المدني للسُّلطة مع المجلس العسكري الانتقالي، بقيادة الجنرال عبد الفتاح البرهان، ونائبه محمد حمدان دقلو (المُلقَّب بِـ «حميدي»)، الزعيم الشهير لميليشيات الغرب، الذي اضْطَفَّ مؤخرًا إلى جانب الثورة. أرسى المحتجون أسس الشرعية المدنية من خلال تواجدهم الكثيف في ساحة الاعتصام، واستعراض جماهيريتهم بشكل يومي. لكن الحياة في الاعتصام قد تجاوزت هذا الدعم للانتقال السلمي للسُّلطة، من خلال تهيئة مساحة تسمح بالتعبير عن أفكار وأحلام بناء سودان آخر أفضل. وقد أردنا، من خلال الصور الفوتوغرافية والنصوص الواردة في الصفحات اللاحقة، أن نعكس أشكال هذا التعبير وهذه الحرية.

يقدم الاعتصام انعكاسًا مُشَوَّهًا للمجتمع، وصورة لمجتمع آخر؛ إذ نجد فيه بالتأكيد أغلبية مكوناته: نشطاء، ومواطني الخرطوم والأقاليم الأخرى الذين قدموا لهذه المناسبة، وأطفال الشوارع،

١ بنديكت أندرسون (1936-2015) أستاذ في العلوم السياسية، متخصص بالدراسات الآسيوية في جامعة كورنيل، اشتهر بنشر كتاب متخيل المجتمعات التي تستكشف أصول القومية [ملاحظة المترجم].

٢ فيما عدا الجماعات الإسلامية الراديكالية أو «الكيزان»، وهو لقب يُطلَقُ على الأعضاء السابقين في الحزب الحاكم لتوظيفهم للدين من أجل تحقيق مكاسب سياسية وأطماع شخصية.

و«سِتَاتُ الشَّاي»، وأكاديميون، وأعضاء لجان المقاومة بالأحياء، وجنود، وأطباء، ومهندسون.. إلخ. كما برز أيضًا في ساحة الاعتصام أولئك الذين كانوا حتى ذلك الحين خارج نطاق الرؤية أو غير مرئيين في نظر الكثيرين مثل: الحركات النسوية، والجماعات المُهمَّشة من دارفور، وجبال النوبة، والنيل الأزرق، والشمال، والشرق.. ولا يتعلق الأمر هنا بتصوير المجتمع كما هو، وإنما بإعادة ابتكاره من خلال المطالبة أولاً بالاعتراف بحقوقهم كمواطنين سودانيين، وصياغة مشروع مشترك جديد يحظى فيه كل مكون من مكونات المجتمع بمكانته بقدر متكافئ.

ومن هذا المنطلق، يمثل الاعتصام مساحة حقيقية لإذكاء الوعي السياسي، حيث تتضاعف أعداد الخيام على طول الأرصفة، وتصطف بالكامل في الشوارع الجانبية المجاورة التي تم رسم خرائط لها. تنتشر المنصات الصغيرة والكبيرة، حيث يُمكن لمحترفي السياسة، والنشطاء، والناس العاديين المتمردين أن يُعبِّروا عن أنفسهم بحرية. وسنحاول، عبْر الصفحات التالية، أن نُطلع القارئ على هذا التسييس المتعدد الأوجه. أما على الصعيد التنظيمي، فقد تم تدريجيًا نصب الخيام، وتوزيع الطعام، وتوفير الأمن داخل الاعتصام عبْر إقامة الحواجز والمنتاريس التي تتيح رسم حدود وتمييز أساسي بين الخارج والداخل.

بيد أن الحواجز والتروس لا تجعل الاعتصام مكانًا مغلقًا على ذاته، بل على العكس تمامًا تزوّد المنطقة الثورية يوميًا بالطاقة والحيوية من خلال المواكب الصاخبة التي تتدفق من أحياء المدينة بتوجيه من لجان المقاومة، على إيقاع الأغاني الثورية. وبمجرد أن يسدل الغروب أستاره على الأفق أضحى الذهاب إلى الاعتصام نزهة عائلية لطيفة، حيث يُمكن الاستمتاع بفعاليات كانت محظورة سابقًا من قبل النظام العسكري الإسلامي مثل:

الفن، والحفلات الموسيقية، وتدخين النرجيلة (الشيشة)، وحتى تناول المخدرات الخفيفة على ضفاف النيل، في مكان يُلقَّب بـ «كولومبيا»، وإن كان الأمر لا يخلو من بعض المبالغة.

في واقع الأمر، يُعتَبَرُ الاعتصام مكانًا مفتوحًا ومنفتحًا على المستقبل، وهو ثورة من الأسفل^٢. كما يضم خيامًا تمثل مختلف مدن البلاد مثل كسلا، ونوري.. إلخ. إن القطار الشهير الذي جاء مُحَمَّلًا بمئات من الثوار السودانيين من مدينة عطبرة إلى قلب الاعتصام يظل مشهدًا عالقًا في الأذهان. وهناك مشهد آخر أقل شهرة للأسف وإن كان رائع للغاية ألا وهو قافلة الحفلات التي قدمت من دارفور للمشاركة في هذه الثورة، وللمرة الأولى، لإبراز معاناة هذا الإقليم في قلب وادي النيل. جاءت رسائل «القوى» و «المجموعات المُهمَّشة» واضحة لا لبس فيها؛ لقد أتوا كسودانيين لإعادة بناء البلاد، وابتكار هوية وطنية جديدة يمكن من خلالها اعتبار التنوع الديني والسياسي وتعدد الأعراق ثروة قومية.

تَصَاعُدُ التَّوْتَرَاتِ

مع مُضيِّ الأسابيع، تَرَسَّخَ شعور متناقض، حيث احتفظ الاعتصام بعنفوانه وتوهجه، ولم تَخُبْ وتيرته على الرغم من احتفالات شهر رمضان. وأمام هكذا قوة وابتكارات سياسية وفنية، لا يسعنا إلا أن نؤمن بقوة الاعتصام التي لا تُقهر، وبقدرته على إخضاع العسكريين في نهاية المطاف. بيد أنه بمرور الوقت أخذت فرص تحقق هذا السيناريو في التضاؤل على ما يبدو. نحن الآن في شهر أيار/مايو، وقد تَمَحَّضَتِ الثورة عن مفاوضات متعثرة، بينما تصاعدت حدة التوترات بقدر ما يكشف العسكر عن أوراقهم ونواياهم الحقيقية: لن تتنازل المؤسسة العسكرية

٢ الثورة من أسفل هي حركة شعبية غير منظمة، تبدأ بتحريك جماهيري ضخم نتيجة استياء اجتماعي ومعاناة ضخمة من قبل الشعب وحسيلة تناقض طبقي وصراع عنيف بين الطبقات الاجتماعية [ملاحظة المترجم].

١ أنظر الخريطة التي تكرمت بوضعها سهى بابكر.

عن السُّلْطَة لحكومة مدنية. تتكيف الأهازيج الثورية وتَطَوَّر، ويُستَبَدَّل الشعار الأساسي «حرية، سلام، وعدالة، والثورة خيار الشعب!» بشعار جديد «حرية، سلام، وعدالة، مَدَنِيَّة قرار الشعب!». وتستهدف الهتافات الجنرال عبد الفتاح البرهان بصورة مباشرة: «برهان مالو؟ برهان وسخان، جابوهو منو؟ جابو الكيزان!». وعلى أرض الاعتصام تتشكل المواكب من وقت لآخر للتوجه بشكل جماعي صوب بوابات وزارة الدفاع المُوصَدَة الآن، والموضوعة قيد الحراسة المشددة. ويطالب المتظاهرون العسكر بتسليم زمام الأمور لسلطة مدنية، ثم يتناثرون تدريجيًا في طرقات وممرات الاعتصام.

وعلى الناحية الأخرى، ضاعف العسكرون من تهديداتهم مطالبين على استحياء ثم بحزم وصرامة بتفكيك الاعتصام، واستئناف حركة القطارات. وقد بسطت جمهورية الاعتصام سيطرتها على السكك الحديدية بالفعل، وراح المحتجون يُخْدِثُونَ جَلْبَةً وَصَجِيحًا من خلال الطرق المستمر والتخبيط المتواصل على القضبان، وجدران جسر السكة الحديد الشهير، مما يرمز في حد ذاته لثورة صاخبة وزاعقة. وفي نهاية المطاف، تعرض الاعتصام للهجوم في الثالث عشر من شهر أيار/مايو، عندما أطلق مسلحون (ينتمون لقوات الدعم السريع التابعة لـ «حميدي») النار على محتجين عُزِّل في شارع النيل، مما أسفر عن مصرع عدة أشخاص وإصابة العشرات. وتصدَّع جسر الثقة بشكل نهائي بين المسلحين والثوار صباح الثالث من حزيران/يونيو عندما قام الجنود المتحصبون خلف أسوار وزارة الدفاع بانتهاك العهد الذي قطعوه مع المتظاهرين، وبتركهم فريسة لطلقات النار، والضرب بالهراوات، والهلاك.

عندما قمنا مؤخرًا باستجواب بعض الشباب النشطاء في لجان المقاومة، والمنخرطين في تنظيم الحياة بساحة الاعتصام، حول ذكرياتهم التي لا تُنسى عن هذه الحقبة الثورية، لم يذكر أحد منهم العنف، أو إراقة الدماء، أو حتى الثالث من حزيران/يونيو. تذكر عثمان دون تردد لحظة المناوبة الصباحية، عندما شرعت المجموعات في الغناء لإيقاظ المعتصمين النائمين مرددين (صباح الخير..). وتذكر شاهين يوم سقوط عمر البشير في الحادي عشر من نيسان/أبريل، عندما رأى لأول مرة في حياته «بلده بأكمله يحتفل بنفس الحدث في وقت واحد». أما محمد فقد أشار إلى «المتاريس» كحاجز للعبور، وكذلك للتواصل بين المتطوعين القادمين من كافة الخلفيات، من مختلف الطبقات الاجتماعية، من الرجال والنساء المشاركين في الثورة.

وتذكر آخرون، مثل يوسف، «الليل»، أو على وجه الخصوص الليالي الأولى التي قضوها تحت هجمات كتائب الظل، والتي وصفها بأنها «اعتصام حقيقي»، للتأكيد ليس فقط على هول المواجهات والمجازفة بالحياة من أجل الزود عن جفنة من الشوارع، ولكن أيضًا هذه الفرصة غير المسبوق التي أتاحت للشباب والنساء والعائلات ليعيشوا بحرية هذه التجربة الاجتماعية، على الرغم مما تنطوي عليه من مخاطر.

لا يمكن للنصوص والصور الفوتوغرافية التالية أن تعكس بشكل واقعي ومستفيض تلك التجربة الفريدة من نوعها. ويستعير محمد عبد الباقي بخيت مجازًا صورة الكرنفال للتعبير عن دهشته عندما حضر الأيام الأولى من الاعتصام. وتذكرنا هبة دياب وهند حسين بشعارات الثورة^٢.

٢ يمكن أيضًا الاطلاع على قائمة المصطلحات التي وضعته Barbara Casciarri and Stefano Manfredi, *Freedom Peace and Justice. A Glossary of the Third Sudanese Revolution*, Working paper n° 2 على الإنترنت على موقع سيديج الخرطوم <https://cedejsudan.hypotheses.org>

١ تناولت هند مَدَبَ Hind Meddeb في مقال رائع مغزى هذا الضجيج المؤجَّه نحو مكتب الجنرال عبد الفتاح البرهان القريب بغية تذكيره بضرورة تسليم السلطة إلى حكومة مدنية. أنظر Hind Meddeb, «Quelques jours à Khartoum», *Esprit*, août 2019.

ازهرى محمد علي دم الشهيد بكم

يا صاحب المشروع
الصوت هناك مسموع ؟
ولا السؤال ممنوع
والانكسر في الروح
ارواح تزف ارواح
راح الوطن باباح
جرب معنا وضوق
من قبل مانسميك
بالواضح المكشوف
وين اختفي الزراع
مين عسكر الاطفال
مين شرد العمال
نحن اكتفين خراب
نحن انطفينا عقود
كانت وعود في وعود
ضحينا بالموجود
والصبر ليهو حدود
وانت فطريق مسدود
كان استقام العود
والفي المنافي يعود
خيبة رجا العشمان
رعشة اصابع الام
جرب معنا وشوف
يا الامر الناهي
علمنا بلاهي
قبال حروف النهي

في قصرك العالي
دم الشهيد بي كم؟
دم الشهيد غالي
ما بجبرو الوالي
وبرضو اللسان مبلوع
جربنا لحس الكوع
لومرة واحدة الجوع
الريس المخلوع
فتش معنا وشوف
وين اترمت احزاب
واستخبر الطلاب
من فوية الاضراب
نحن استوينا سنين
سنوات طوت سنوات
قدمنا ليك فلذت
فوق الصبر صابرين
نحن بنكورك سير
لوشفتا عوج الضل
كان استراح الكل
جرب معنا وشوف
والخاطر المكسوف
في مدة المصروف
ياساهي يالاوي
في قصرك الواهي
بالله
الامر بالمعروف ■

تُشدّد هند حسين، مثل العديد من المساهمين في هذا الكتاب، بشكل خاص على هذا الجيل الضائع الذي يُولد من جديد من رَجَم الثورة. وفي ظل هذا السياق يمكننا، كما يقترح محمد عبد الباقي بخيت، تشبيه هذه التجربة الثورية بـ«طقس العبور» (rite de passage) الذي يمثل نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة، غير أنه طقس مُنْهَك، ومُوجِع، ويستوجب التضحية، كما يُذكرنا تامر عبد الكريم من خلال صورة الحواجز والمتاريس، والعلاقات المضطربة بين المدنيين والمسلحين. وينضم إليه صدام فارس للحديث عن «دولة داخل الدولة»، أو بشيء من المبالغة عن تنظيم مُبتَكِر ومستقل. ويُذكرنا المشاركون في هذا الكتاب أن الاعتصام يمثل أيضًا مساحة غير مسبقة من الحرية، حتى في أكثر جوانبها كبتًا، كما تشير عزة مصطفى وهي تتناول بالتحليل المنطقة الشهيرة المُسمّاة «كولومبيا» والواقعة في قلب العاصمة الخرطوم.

لا ريب أن ميدان الاعتصام ليس مكانًا مثاليًا، من حيث إنه بعيد حتمًا إنتاج هياكل الهيمنة القائمة على أساس النوع، أو الطبقة الاجتماعية، أو الأصول العرقية (أحاول من جانبي إسماع صوت بعض الأشخاص المُهمَّشين من الجنسين). وتُعبّر عزة أحمد عن ذلك ببلاغة عندما يكتبان «مازلنا.. لم نبارح معضلة التقارب المكاني والتباعد الاجتماعي».

ورغم كل شيء يظل الاعتصام مساحة للإبداع من خلال الفن الذي ناقشه فابريس مونجيا Fabrice Mongiat ومحمد موسى، أو الشعر الذي يعكس التاريخ الطويل والثري لهذا البلد، كما تشير هند مَدَب Hind Meddeb ويأسر عوض. وكذلك يفعل أسامة أبو زيد، مشيرًا إلى أن هذا الاعتصام، مهما كان غير مسبوق، «لم يكن سدره منتهى لثورة شعب السودان» ■

جان-نيكولا باك
Jean-Nicolas Bach
آذار/مارس 2020





ميتشي جعفر، ٢٧ مارس ٢٠١٩



ألفَ مرَّةً قبل أن نكتب أو نتحدث أو نعبر عن مشاعرنا رقصًا وغناءً في العلن، فهذا المهرجان التعبيري الدائم أمام القيادة كان تعبيرًا عن قطيعة فكرية ورمزية عما حدث خلال فترة الإنقاذ البائد.

إن ساحة الاعتصام والتعبير الغنائي والأداء التلقائي شباب وشابات الاعتصام هو في جوهره نُقْطَةُ تَحَوُّلٍ في تاريخ السودان الحديث، عبارة عن طقس عُبُورٍ للأمة السودانية من مرحلة المجتمع التقليدي الأبوي الديكتاتوري لمرحلة جديدة تضع شعارها (الحرية والسلام والعدالة). نعم هي شعارات فضفاضة وغير مُحدَّدة المعالم، ويختلف تفسيرها من شخص لآخر، ومن فئة اجتماعية لأخرى، لكنها شعارات تُمثِّلُ روح المستقبل القادم. هذه الشعارات ستكون مثل المنارات التي ستُحدِّدُ معالم الطريق لهذا الجيل الذي صنع ثورة السودان المجيدة والتي حتمًا ستكتمل! ■

محمد عبد الباقي بخيت

يَوْمَ أَمْسٍ كَانَتْ زِيَارَتِي الأولى لمقر الاعتصام أمام القيادة العامة^١، حيث كان يومًا استثنائيًا بكل المعاني، كانت فرصة تأتي في العمر مرةً واحدة فقط. لقد انتظرنا طويلًا لنرى الخُزْطُومَ بهذا الجمال والألُقِ والتَّنَوُّعِ، لنرى هذا الكرنفال الباذخ من الحرية والوطنية معًا. كانت الحشود من البشر من السودانيين بكل ألوانهم وسحناتهم، وكانت ساحة الاعتصام الممتدة على محيط القيادة العامة مُحْتَشِدَةً بكل الأزياء وكل الأشكال وكل الألوان وكل الأعمار، غالبيتهم شابات وشباب يتنسمون هواء الحرية النقي. كانوا سعداء كالأطفال، فرحين كالطيور أَوَّلَ الصباح، يرقصون ويغنون، يضحكون ويتسامرون. وبين كل لحظة وأخرى يأتي موكب صغير له طابعه المختلف ما بين الشعارات والأهازيج الوطنية على أنغام «الراب» الراقص، وأخرى على أنغام «نوبة» الصوفية، وأخرى على إيقاع الأشعار الثورية، وأخرى على أنغام موسيقى «الزرق». كانت الموسيقى والرقص هي لغتهم الفصيحة التي حُرِّمُوا منها لعقودٍ وعقودٍ. لقد قرروا في هذا الاعتصام أن يرفضوا كَبَتْ كل الثلاثين عام البائدة من خلال هذا التعبير الصاخب والمُتَنَوِّعِ والمُدهِشِ.

لقد انتظرنا ثلاثة عقود لنرى هذا الكرنفال، وهذه القدرة على التعبير عن الذات، وهذه بداية عهد الحرية الحقيقية: حرية التعبير، وحرية التفكير، وحرية الاعتقاد، وحرية التنظيم. لقد هَرَمْنَا لنرى هذا التاريخ يسطر، ولقد حان الوقت لكي نعيش بَقِيَّةَ أعمارنا أحرارًا في وطننا.

من أهم المكاسب التي يجب علينا تعلمها من هذا المهرجان التعبيري الشعبي الشباني هو أن الثورة جاءت لتحقيق مبدأ الحرية. يجب أن نتذكر دائمًا أن شعار الثورة الأساسي كَانِ ولا يزال (حرية، سلام وعدالة). نحن جيل عشنا عمرنا كله نُفَكِّرُ

١ هذه المساهمة مستوحاة من تعليق كتبته في صفحتي على الفيسبوك بتاريخ 7 نيسان/أبريل 2019.



محمد السماني



سهى بركات، ٢٥ ابريل ٢٠١٩





شايفنك يا البرجوكي
 كاتبهاو الدبابات..
 السدرو بنور الهامش
 السكنو بيوت الطين..
 حرية، سلام، عداله
 مضبوح الروح والقلب..
 ماييدي الفقراء مصانع
 الدوشكا وربط البوت..
 الناس.. يا فقرا دواس لي دواس
 ويطير الدم في نحاس..
 ونحاس الجيل الواعي
 هل ممكن يحكموا فقراء
 شكرا محمود ود احمد..
 سوداني هويتك هامش
 الناس البصنعوا نحنا..
 في كرري وفي شيكان..
 الطرح الواعد نحنا
 الحزب القادم نحنا
 لا لقمه ولا سيار..
 لا سلطة تمرق الحق
 لا زول بتشقق طق..
 ميزانا عدل حساس
 وفي أحلى أخوة وألفة
 والوحده خيار الشعب
 للشعب الماهو ضروري
 حيكومة حنة وفونقا
 حرية، سلام وعدالة
 ادروب بيفتش حاله..
 في سهم السوق الحر..
 لا بتعرف طعن الضر..

متحزمة بالقمرات..
 الناس الجد راجينك
 الصبرو سنين ودنين..
 الشالو الشمعة سنين
 والوحدة خيار الشعب
 ودران بيفتش ذاتو
 لا مدرسة، لا من قوت..
 والشعب الطيب يمه
 ما أخير نتواتق أيوا
 ونحاس الجيل الجاي
 في يقظة شعب الهامش..
 عفوا ياخليفة المهدي
 الليلة نحاسك برة
 والهامش نبض النبض..
 الناس الركبو الخيل
 الزمن الاكبر نحنا
 لو أمة ولو إسلامي..
 لا مدرسة لا تيار..
 لا عابره ولا من ساي
 لا طلقة بتعمل بق..
 يا شعب عدالة، عدالة
 في كفة ضميرنا الشعب
 نتعايش بي احساس..
 أبنوسة ثوري، ثوري
 في الوطن الماكل نيم..
 للشعب المآخذ خنقا..
 للشعب الهامتو سقالة..
 علشان ما يبيع سكين.
 لا بتمشي جديد الثورة
 حرية.. سلام.. وعدالة

مشلولة بنص دستوري
 الناس الجنزها ثورة..
 الناس المحرومين..
 الهتفو بنبض الشارع
 والشعب الطيب صابر
 في أجندة حكم شمولي..
 ما بيعرف الا الدوشكا
 مسكون بي شوق
 ونخلي الموت في السرحة
 في التنمية والقرطاس..
 البسأل ربو كتير
 الجبت رحيق الشمس..
 في الدولة وحكم الشعب..
 الناس البزرعوا نحنا
 بسيف العشر الجآن..
 الصوت العالي أنحنأ..
 لو شعبي أو كان وطني
 لا مويه تبل الريق
 لا نشرة ولا أسمار..
 لا عود بشق الفأس
 مزروعة لكل الناس..
 وفي كفه دموع الناس..
 حرية — سلام — وعدالة
 منشية بتضرب بوري..
 يا وطني الدنيا دبنقا..
 علشان يشبع برسيم..
 في نص السوق العربي
 سكين ادروب ما اتباعت
 بأعلي جياود دقنة
 والوحدة خيار الشعب ■

اغنية لفنان غير معروف

شهدائنا ما ماتو عايشين مع الثوار
الموت ضمير خاين حالفين نجيب التار
استاذ كتب قصة احمد كتب قصة
نقراها للاجيال قصة وطن شامخ
معروف وطن ثوار محجوب رسم خارطة
راويها بي دمو اثبت بانو شريف
كل الوطن همو

شهدائنا ما ماتو عايشين مع الثوار
والموت ضمير خاين حالفين نجيب التار
نتلاقى في الثورة شالين هموم جيلنا
مسلم علي وثني حلفاوي شلكاوي
ثورتنا منتصرة

شهدائنا ما ماتو عايشين مع الثوار
والموت ضمير خاين حالفين نجيب التار
تسقط عقب نتلم نقدل علي جروفنا
تربالنا كلو عجم وصونا نفدي وطن
ما يشوفو يوم خوفنا يا تائر استنا
انا خطوي ديمة معاك
ده شهيدنا صوتو هنا
في الجنة روحو هناك قال ليك اتان
اوعاك تمشي براك

شهدائنا ما ماتو عايشين مع الثوار
والموت ضمير خاين حالفين نجيب التار ■

يضم التَّجَمُّعُ لجنة أطباء السودان المركزية، وشبكة الصحفيين، والتحالف الديمقراطي للمحامين، ورابطة الأطباء البياطرة الديمقراطيين، وتَجَمُّعُ أساتذة الجامعات، ولجنة الصيادلة، ومبادرة استعادة نقابة المهندسين السودانيين، وتَجَمُّعُ التشكيليين السودانيين، ولجنة ضباط الصحة، وجمعية اختصاصي الإنتاج الحيواني.

سعي التَّجَمُّعُ لتكوين جسم يلتف حوله الجميع، بعيداً عن الأحزاب السياسية، وإيجاد بديل لنقابات النظام، مستخدماً وسائل التواصل الاجتماعي كمصات لبث خطط المظاهرات والتحركات. كانت الانطلاقة الأولى للحراك تحت قيادة التَّجَمُّع في 25 كانون الأول/ديسمبر 2018 بتظاهرة للقصر الجمهوري تطالب الرئيس عمر البشير بالتنحي عن الحكم بعد فشل حكومته في إدارة البلاد وانتشار الفساد والمحسوبية^١.

سلمية! سلمية! ضد الحزمية

رُفِعَ هذا الشعار في بدايات الحراك عاكساً الوعي التام للشباب بأن حراكتهم وثورتهم مطلبها اجتثاث الفساد وإعادة الحق العام مع التأكيد على ضرورة المحاسبة.

السؤال الأهم كيف لهم أن يجعلوها سلمية مع كل هذا العتاد والقوات والاستعداد الأمني؟ معروف أن ما يفوق 70% من ميزانية الدولة كان يذهب للأمن والدفاع، في محاولة لترسيخ هياكل حكم الإسلامويين بالعسكر والأمن، وإعطائهم صلاحيات

«إن الثورة حين تكون عنيفة، إنما تحمل عناصر فنائها لأنها لا تملك، مع العنف، أن تعتدل.» محمود محمد طه، الثورة الثقافية، أيار/مايو 1973.

مرّت ثلاث حقبة على الحكم في السودان، كانت من أصعب وأسوأ فترات الحكم التي مرّت وظني سوف تشهدا البلاد. ثلاثون عاماً من القمع، والقهر، والجوع، والفقر، والمحسوبية، والكذب، والفساد. ثلاثون عاماً نما في باحاتها الوعرة جيل من الشباب شعر وعاش الغبن والضياع والتوهان في اللا معلوم. ثلاثون عاماً رسّخت لمناهج تعليمية أقل ما توصف به أنها جيدة في تفريخ الخواء الفكري، والعمل على التلقين والحفظ دون السعي إلى إعمال العقل في التفكير والتدبير. وكانت النظرة لحالة الشباب تُصيّب المرء بالحسرة والقلق حول كيف سيكون حال السودان مُستقبلاً في ظل نظام أخط بالبلاد وأهلها، مع القناعة التامة بزواله يوماً ما، ولكن تبقى آثاره وبصمته في فئة الشباب الذين تربّوا ونشئوا في عهده.

هذا الاستهلال كان لابد منه لعكس الاندهاش، وغلب كل التوقعات التي صنعها الحراك الثوري في السودان آب/أغسطس 2018 — أيلول/سبتمبر 2019 وكيف أن ذات الشباب أذهل العالم بوعيه وتعامله مع إدارة الحراك تحت سيطرة نظام قانع وباطش؟

تَجَمُّعُ الْمُهْنِيِّينَ السُّودَانِيِّينَ، مِفْتَاحُ سِرِّ الْحَرَكَ

عُرفَ التَّجَمُّعُ بأنه «امتداد لتاريخ طويل للمهنيين السودانيين ومحاولات لم تستمر بسبب تضيق السلطة، وحرمان المهنيين من حق التكون النقابي». بدأ تشكيل التَّجَمُّع منذ 2013، وفي 2016 تَكوّنَ التَّجَمُّعُ رسمياً، وليس لديه هيكل تنظيمي، لكن تركز قوته وفاعليته على العمل الجماعي، وضُمَّ عددٌ من اللجان والجمعيات يضمها ميثاق وأهداف مشتركة.

١ أنظر صفحة تَجَمُّعُ المهنيين السودانيين: <https://ar-ar.facebook.com/SdnProAssociation>

٢ «Sudan could spend up to 70% of its budget on several war fronts this year», Nuba Reports. February 12, 2016, <https://qz.com/africa/615938/sudan-could-spend-up-to-70-of-its-budget-on-several-war-fronts-this-year/>

محجوب شريف يا شعباً لهبك ثورتك

يا شعباً لهبك ثورتك
تلقى مرادك والفى نيتك
وعمق احساسك بى حريتك
يبقى ملامح فى ذريتك
على اجنحة الفجر ترفرف فوق أعلامك
ومن بينات اكمامك
تطلع شمس أعراسك ماك
هوين سهل قيادك
سيّد نفسك..
مين أسيادك؟
ديل أولادك
وديل أمجادك ونيلك هيلك
جري قدامك
تحت اقدامك
رجع صداك وسجع نحاسك
وانت نسيج الفدا..
هندامك
وانت نشيد الصبح كلامك
وعطر أنفاسك
أرفع صوتك
هيبه وجبره
خلى نشيدك عالي النبره
خلى جراح أولادك تبرأ خلى
مكان الضحكه العبره
إلا يقينهم فيك
اتماسك يا الإصرارك
سطراً سطرأ
ملا كراسك ■

بلا حدود تحت حماية قانون الأمن الوطني، وفيه أُعطي جهاز الأمن والمخابرات اليد المُنطقَة في التصرف، وقمع أي حراك يقوم ضد الحكومة.

بدأت الاحتجاجات كرد فعل على الزيادة في أسعار الخبز والمحروقات، وبدأ التملل في الشارع العام في مظاهرات في مدينة الدمازين؛ ولاية النيل الأزرق، وعطبرة: ولاية نهر النيل؛ ومن ثم انتشرت في سائر مدن البلاد شعارها «تَسْقُطْ بَسْ!»، وهو شعار يعكس مطالب الشعب في تغيير النظام من جذوره، وتفكيك الدولة المتجذرة. شهدت الحُرُطُومُ المواجهة الأعنف ما بين الشباب العُزْل، سلاحه الوحيد حناجر تهتف بالسلمية في مواجهة الرصاص والغاز المسيل للدموع، تبعها اعتقالات، وقتل، وتعذيب، واقتحامات للمنازل محمي بقانون الطوارئ. وكل وسائل القمع تلك، وما زال الهمتاف «سلمية! سلمية!».

السلمية وسقوط الإسلاموية في السودان

منذ مجيء الإسلاميين للسلطة في السودان عام 1989 بتدبير من الحركة الإسلامية، رفعوا شعار «هي لله هي لله.. لا للسلطة ولا للجاه» في بدايات حكمهم كتعبير عن زهدهم في المناصب والدنيا عموماً، وأن الآخرة هي مُبْتَغَاهُهم. ومع مرور الزمن واستحواذهم على السلطة لفترة هي الأطول في تاريخ السودان هُزِمَ الشعار وكانت «هي للسلطة وللجاه» وهذا ما كشفت الثورة السلمية بعد حصولهم على مبالغ ضخمة من الأموال العامة، وبسبب تكديسها في حساباتهم الشخصية أفقرت البلاد، وزاد التضخم، وارتفع سعر العملة الصعبة إلى أعلى مستوياته، مما أفقر المواطن وسحقت الطبقة الوسطى.

توالى الأحداث بعد يوم 6 نيسان/أبريل وكُشِفَ المستور، وأن الشعب خُدِعَ باسم الدين. وكسب الإسلاميون من وراء حكمهم المال والسلطة والقوة، ولكنهم خسروا الثقة والسُّمعة والوجود.

المعتصمون في الميدان لا تساورهم الشكوك في أن الإسلاميين قد حفروا مقبرتهم بأيديهم في السودان، وإن قامت لهم قائمة تكون بعد زمن يتطلب منهم العمل الجاد والدعوى في استعادة الثقة وردم الفجوة بينهم وبين الشباب.

«من الأفضل للشعب السوداني أن يمر بتجربة حكم جماعة الإخوان المسلمين. وسوف تكون تجربة مفيدة للغاية؛ إذ أنها بلا شك ستُبيِّنُ لأبناء هذا الشعب مدى زيف شعارات هذه الجماعة التي سوف تسيطر على السودان سياسياً واقتصادياً حتى ولو بالوسائل العسكرية. وسوف يُذيقُونَ الشعب الأمرين. وسوف يُدخلُونَ البلاد في فتنة تحيل نهارها إلى ليل. وسوف تنتهي فيما بينهم. وسوف يُقتَلُونَ من أرض السودان اقتلاعاً»^١.

المرأة السودانية تقود الحراك

كسرت المرأة السودانية حاجز الخوف، وتصدت للبطش والقمع المُفْرِط من جانب القوات الأمنية خلال الثورة، وقادت المظاهرات كَتِفًا بِكَتِفٍ مع الشباب. وقد شاركت في المواكب والمسيرات وكل عمليات الكرّ والفرّ، وواجهت الاعتقال والتعذيب بصمود وجسارة جعلت منها أيقونة حقيقية لحراك الثورة. النساء ظلن يحافظن على سلمية الثورة في الأحياء والقرى بدعم الثوار معنوياً خاصة أثناء المظاهرات وعمليات القمع الأولى للثورة. كانت الزغرودة هي الإشارة التي تنبه الجميع بأن موعد انطلاق الموكب قد بدأ، وعند انتهاء الزغرودة تثور الأماكن بالهمتاف وترديد الشعارات الثورية، والنساء يتقدمن الصفوف في شجاعة وبسالة واضحة^٢.

١ من المقولات المأثورة عن الأستاذ محمود محمد طه في كتاباته عن الإسلاميين 1977.

٢ مداخلة هند التيجاني بركة، ناشطة ومدافعة عن الحقوق، 26/5/2019.

وَضْعُ النِّسَاءِ بَعْدَ الثَّوْرَةِ

النساء رفعن شعار «حقنا كامل وما بنجامل»، أردن به تثبيت حقهن في المشاركة كاملة دون انتقاص. فقد خصصت حصتهن بـ 40% ويرين فيها مَنَقَصَةً وقِسْمَةً ضَيَّرَ لحقهن في أن تكون 50%. يوضح الشعار رسالتهن لمرحلة ما بعد الثورة، ويعكس الوعي بأن لهن مثل ما عليهن، وتثبيت الحق في المعاملة المتساوية، وإتاحة الفرص، وتغيير الخطاب السياسي والاجتماعي والثقافي تجاه النساء، وتغيير الصورة النمطية حولهن وأنهن جزء أصيل في الحياة.

يؤكد د. حيدر إبراهيم على أن دور المرأة السودانية في الثورة عدم وجود معطى طبيعى، أو ما يسمى طبيعة المرأة أو فطرتها. فالمرأة لا تولد امرأة بالصفات التي نضفيها عليها ونعاملها على ضوءها. وضعية المرأة فعل ثقافي مجتمعي وليس طبيعة ثابتة، فالمرأة بوضعيتها السائدة لا تولد كذلك، ولكن المجتمع والثقافة ينتجان المرأة، ويخلقان الشخصية والسلوك، ثم نقول بعد ذلك طبيعة المرأة وهي بدورها تستبطن هذه الوضعية وتكيف نفسها عليها.

لذلك تعلن الثورة السودانية ميلاد المرأة الجديدة، ونحن مطالبون رجالاً ونساءً بتبني الوضعية الجديدة للمرأة السودانية، والوقوف معها في دروب الحرية التي انفتحت أمامها، لتبدأ في كتابة تاريخها وزمنها ومستقبلها بلا رجعة أو تردد، وأن تسترد إنسانيتها كاملة، وليس بالضرورة أن تكون مساوية للرجل خاصة إذا لم يكن حرّاً وإنساناً كاملاً. وهذا ليس دعوة للمساواة بل أن تحقق المرأة ذاتها ■

عزة مصطفى، أكاديمية،
مهمته بقضايا الديمقراطية
والمجتمع المدني

«أم الشهيد أمي، دم الشهيد دمي»: هتاف صدح به المتظاهرون بعد الخطاب الذي أرسلته أمهات الشهداء لهم بضرورة الالتزام بسلمية الثورة؛ حتى يتم تفادي إزهاق مزيد من الدماء، خاصة وأن معظم الشهداء من طلاب الجامعات فهم بالتأكيد مستقبل السودان وأمله. ووجد نداءهن قبولاً واستجابة عالية عكست مدى احترام وتقدير الأم ومكانتها العالية والمُقدَّرة في المجتمع السوداني^١.

«هوي يا بشير ارجع ورا، ثورتنا دي مابتقدرا هوي يا بنات ابقوا الثبات ثورتنا دي ثورة بنات» الشعار بكلمة «هوي»: وهي أداة تنبيه في العامية السودانية تعني لفت الانتباه. «ارجع ورا»: يعني بعد لفت الانتباه والمقصود الرئيس البشير أن يتراجع للوراء لأنه لا يستطيع قمع ثورتنا «ثورة النساء». وفي الجزء الثاني فيها دعوة جادة للبنات أن يصمدن ويثابرن لأنها ثورتهن وعليهن أن يُجسِّدن الثبات في مواجهة الجبروت.

عَكَسَ هذا الشعار عدَّة نقاط وأَوْضَحَ عمق الإصرار على مواصلة تحقيق نجاح الثورة، وفيه دعوة لتغيير كافة المفاهيم المُترسِّخة عن الفتاة ودورها في الحياة/المجتمع في أنها قادرة على فعل ذات العمل الذي يقوم به الشاب وبنفس الإصرار، بل وقد تتفوق عليه.

كما أن فيه دعوة لكسر الخوف من النظام وبطشه، ودعوة للقوات القامعة بأنهن غير خائفات من الجبروت والعنت. والشعار يجسد روح الفخر والعزة، وفيه رسالة واضحة بأن القادم من الحياة الاجتماعية والسياسية سوف يكون مختلفاً، وأن أوضاعهن سوف تتغير.

١ مداخلة تقوى خليل، ناشطة في المجتمع المدني.

لنيلوا أيول^١ شجرة المانجو الطوطم

لا بدُّ لي أن أعبر بينَ كلابِ المدينة
لكي أكتبَ على ساقِ شجرةِ المانجو
الطقسُ مُجرَّدُ ابتسامةٍ مُلتويةٍ
يَنزُ غرائبيةً غامضةً،
ينبغي أن تكون هذه القصيدة زُنبقة
نُقِشتْ في العتبةِ السَّريةِ للظلام الأبدى
تَهْزُ رأسُها وتقول: أنتَ يا حبيبي على قيد الحياة
تحولتُ فقط لتصبح بروميثيوس
لذا يفضلن النواخذ المفتوحة، وابتسامة شجرة المانجو؛
الذي يشبه أسئلة نسيج الوجود بين الرُّعدِ
أو محنة العذاب البطيء لصورة السماء المنهارة،
لأنَّ النساء يعرفن كيف يكون الجنودُ
ويعرفن أنَّ الجنودَ يضعون الدانتيل على ظلِّ الزناد
لكن قصيدي المنقوشة على ساق شجرة المانجو
ولا على النوم تحت الأمطار النَّدية العذبة،
لأنَّ حروفها الممتلئة غرقت

وموسيقى الصباح تحت الرصاص
هذه القصيدة كذاكرات تُمارسُ الحيلَ على يوم ماطر،
يمارسُ الانزلاقَ من خلال ثقب السماء المضطرب
كغناء مشعوذٍ في أحلك أيام يناير الباردة
أو تقويم حي في أنشودة قديمة
أو امرأة ترتدي شُبَّشَبها الصيفي
وظل حذائك يشبه البندقية قليلاً
النساء يعرفن كيف للموت أن يكون سعيداً
والليل أو هذا الشعور السريع
والعاصفة خارج النافذة
حين يُغادر الرجال للحرب.
أكثر الناس مقدرة على العشق
ويكتبون قصائدهم على جسد المرأة برائحة الهواء
لم تجرؤ على الوعد بوصول الصباح
ولا بالقُبلة الحُلوة بين دفء يديك،
في الأزرق العميق لرائحة البارود ■



أحمد انو





06.05.2019 16:49

٣٠

السودان، ٢٠١٩ نقطة ومن أول السطر

چان-نيكولا باك، ٦ مايو ٢٠١٩

أصبحت الهتافات كَرَدَ لِفَعْلٍ أو تصريح سياسي مُعَيَّن، وصارت تُعَبِّرُ عن وَحْدَةِ صوت الثَّوَارِ ويظهر ذلك في هتاف.

■ «يا عُنْصَرِي ومغرور/ كل البلد دارفور»: وذلك عندما اتهمت الحكومة أفراد من دارفور على أنهم خلية تتبع لحركة مسلحة وهي المحرك للحراك، فجاء الرد في المواكب بهذا الهتاف حيث كان أيضًا تعبيرًا عن أن الثوار لم يعودوا يصدقون أكاذيب إعلام الحكومة.

■ «تَسْقُطُ بَسْ!»: أكثر شعار عَبَّرَ عن وَحْدَةِ وُغْلُو صوت الثوار كان هتاف «تَسْقُطُ بَسْ!» الذي بدأ كمحادثة بين فردين عن طريق التواصل الاجتماعي ومنها تحول الى وسم #تسقط بس ثم إلى هتاف في المواكب في السودان وخارج السودان، وحتى في تصريحات المسؤولين في الحكومة حتى الرئيس السابق. وهذا إن دَلَّ على شيء فإنما يدل على أن قوة وحدة صوت الثوار أدت إلى قوة الهتاف وتأثيره.

توضح أشكال التعبير الفئة العظمى التي ينتمي إليها الثوار، ويظهر ذلك من خلال انتشار الأغاني الثورية السريعة كأغاني الفنان «أيمن ماو» لأنها تُعَبِّرُ أكثر عن الشباب والثقافة المتأثرين بها في هذا الزمن. إذ أن الأغاني التي يغنيها «أيمن ماو» هي من نوع الإيقاع السريع. وفي حين أن الأغاني الوطنية التي أعقبت الثورات السودانية السابقة كان إيقاعها سلم خماسي، لكن الأغاني الوطنية المنتشرة التي أعقبت ثورة كانون الأول/ديسمبر نجد فيها تأثير العَوْلَمَةِ.

■ «البشير سفاح/ اوكامبو كلامك صاح»: وهتاف «البشير سفاح/ اوكامبو كلامك صاح» يُعَبِّرُ عن الفئة التي كانت صغيرة في المدرسة وعاصرت تصريح «اوكامبو» بتسليم البشير للمحكمة الدولية، وبهذا التصريح دفعت الحكومة طلاب المدارس للخروج للتظاهر ضد هذا القرار.

حملت الثورة السودانية كثيرًا من أشكال التعبير التي تنوعت من هتافات وأغاني وطنية وثورية وكتابة على الجدران، بالإضافة إلى الوسوم/الهاشتاقات على مواقع التواصل الاجتماعي، وغيرها من الأشكال التي حملت رسائل ومعاني مُثْقَلَةً بالدلالات الواضحة والضُمْنِيَّة التي تُلَخِّصُ معاناة ومطالب وتطلعات الشعب الثائر، حيث إنها كانت بمثابة صوت جَمْعِي للثوار. وقد اختلفت وتطورت هذه التعابير مع مرور الوقت لِتَغْيِرَ الظروف والمواقف المختلفة.

يُرَكِّزُ هذا المقال على أكثر الهتافات انتشارًا التي ظهرت في ثورة كانون الأول/ديسمبر 2018:

■ «الشعب يريد إسقاط النظام»: وهو هتاف انطلق في تونس في بداية ثورات الربيع العربي التي أسقطت عدة ديكتاتوريات في المنطقة العربية؛ فاكتمسب هذا الهتاف قوة، وأصبح بمثابة إعلانًا لحالة رفض الشعب وإقراره بإسقاط النظام، وأصبح يتردد مع أي ثورة تحدث في المنطقة العربية.

■ «حرية سلام وعدالة/ والثورة خيار الشعب»: هتاف يُلَخِّصُ مطلب الشعب في الحرية والسلام والعدالة، وأنها لا تأتي من دون الثورة فأصبحت خيار للشعب. هذا الشعار هو أحد أكثر الشعارات تَكَرَّرًا خلال الفترة بأكملها، إن لم يكن الأكثر تَكَرَّرًا. وقد تم ترديده أولًا في الشوارع، ثم أصبح حاضرًا بقوة في كل مكان في الاعتصام وكذا في الخطابات السياسية.

■ «الطلقة ما بتقتل بقتل سكات الزول»: وهو بيت من شعر كتبه أحد الطلاب أيام النظام السابق وتحول لهتاف يردده الطلاب لكسر الخوف من الموت، حيث إن الطلقة رمز للموت والإصابة، وأن بالسكوت سيستمر القتل من قِبَلِ النظام.

■ «سَلِمِيَّة! سَلِمِيَّة!»: لهتاف سَلِمِيَّة أثر في سَلِمِيَّة الحراك.

وعقب مجزرة الثامن من شهر رمضان «13 أيار/مايو 2019» التي راح ضحيتها عدد من الثوار في محاولة من قوات الدعم السريع لفك المتاريس، برزت الهتافات التي تُعبّر عن استعداد الثوار للتضحية بحياتهم من أجل الاعتصام فكانت: «اسعاف ورا اسعاف، مرحب حبابو الموت» و«جهاز عدل كفنك، يا انت يا وطنك» و«الترس دا ما بيتشال/الترس وراهو رجال أو ثوار». كما نادى هتافات أخرى بحل الدعم السريع مثل: «قوات مسلحة بس/الدعم يسقط بس».

مع مرور الوقت في الاعتصام قلّت ثقة الثوار في المجلس العسكري بسبب مماطلته فجاء رد الثوار في هتافات مثل: «سلم تسلم يا برهان/ما دايرين حركات كيزان» و«المجلس كلو، يسقط بس/مجلس وسخان، يسقط بس» و«برهان وسخان/جابو الكيزان». وبتصريح من أحد أعضاء المجلس العسكري في أن التّجمّع اتفق مع المجلس في فض الاعتصام، ونفي قوى الحرية والتغيير لذلك، جاء الرد من المعتصمين بـ «كباشي يا كضاب/الثورة بدت ياداب»، وانتشرت الهتافات التي تنادي بالمدنية مثل: «مدنيااااا» و«حرية سلام وعدالة/مدنية قرار الشعب» تعبيرا عن قوة تمسك الشعب بالمدنية.

في ضوء ما تقدم، تتميز الشعارات أولا وقبل كل شيء بسرعة انتشارها؛ فبمجرد أن تظهر في منطقة مُعيّنة سرعان ما تنتشر في باقي المناطق مثل هتاف «تسقط بس!». وقد أسهمت مواقع التواصل الاجتماعي في سرعة انتشارها.

الشعارات ذات المصادر المجهولة تقوي تأثيرها

تظل الشعارات مجهولة المصدر وهذا ما يجعلها قوية وذات تأثير؛ لأنها تُعبّر عن كافة الثوار، كما تتميز أيضا بتجاوبها؛ إذ تُمثّل رد فعل لتصرّيات صدرت من مسئولين في الحكومة، كما أنها تلخّص مطالب الثوار. كما تتطور الشعارات وتتغير

وتظهر في أوقات الاحتجاج لها مثل: «حرية سلام وعدالة/الثورة خيار الشعب» تطورت إلى «حرية سلام وعدالة/مدنية قرار الشعب»، وهتاف «الشعب يريد إسقاط النظام» إلى «الشعب يريد قصاص الشهيد».

أما الهتافات التي نادى بوقوف الجيش مع الثوار في بداية الاعتصام مثل: «الجيش جيش السودان/الجيش ما جيش كيزان» فقد اختفت عقب انحياز الجيش وتطور الأحداث، ثم ظهرت من جديد يوم فض الاعتصام، وعدم حماية الجيش للثوار؛ لتصبح «الجيش جيش كيزان/الجيش ما جيش السودان». ونفس الأمر ينطبق على شعار «حرية سلام وعدالة/الثورة خيار الشعب» الذي عاود الظهور خلال موكب 30 حزيران/يونيو 2019 ■

هبة دياب وضحي بكري

اغنية لفنان غير معروف

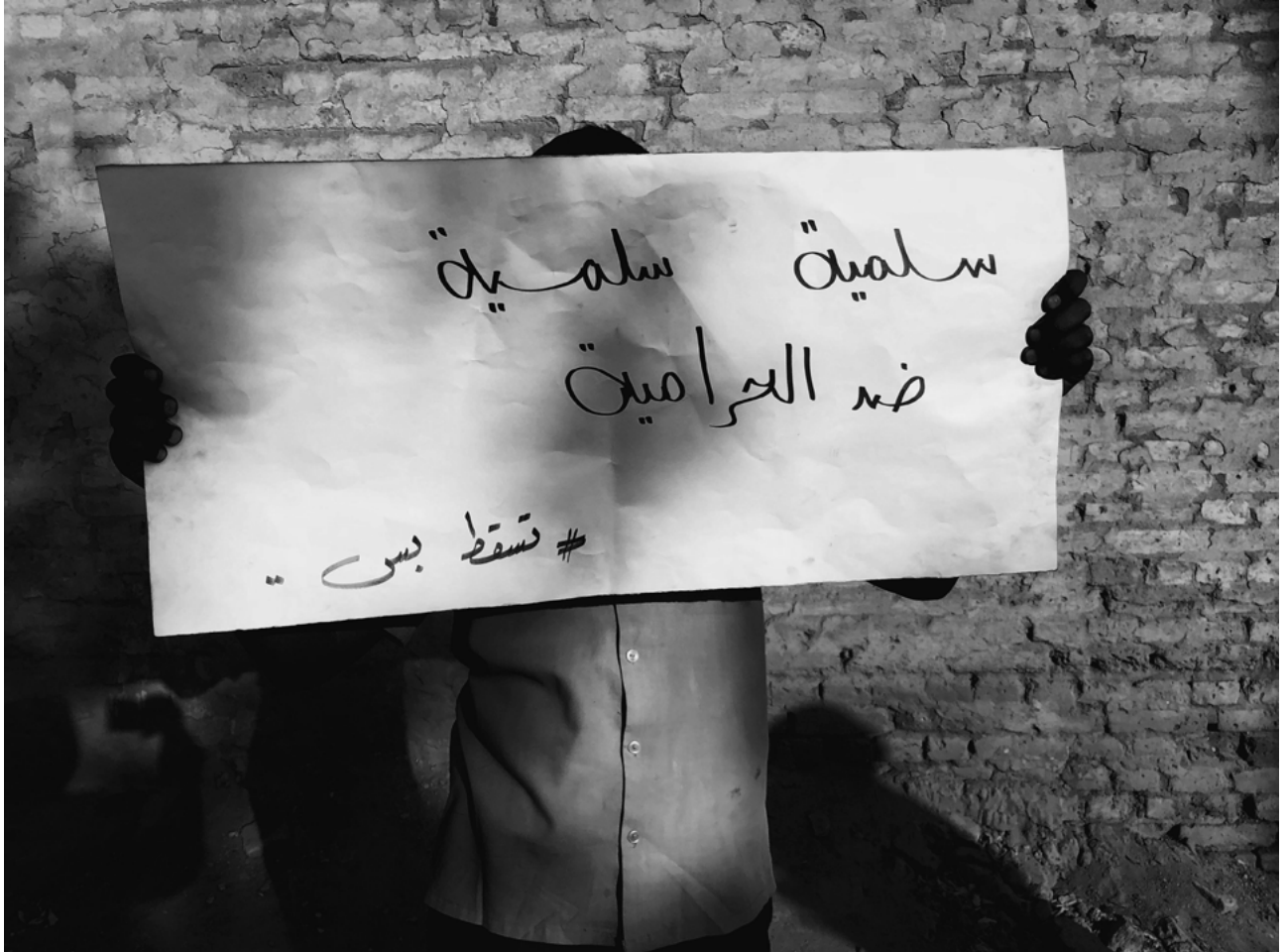
يا والدة أعفيلي..
 إنو الكلام ممنوع.. في شلة الحكام
 لما العساكر ديل.. الشوهو الإسلام
 سجنونا باسم الدين..
 حرقونا باسم الدين..
 الدين بريء يمة..
 بيخاوي في شيطان..
 تمرق تقيف في الضد.. وتواجه الحكام..
 ما ينكتم يسكت..
 كوز السجم بيغرف.. في خيرنا ويتمتع..
 ما بنكتم نسكت.. في وش عميل جاير..
 حبوبي كنداكة.. وعبد الفضيل الماظ
 يمة الشباب بحيو.. وأنا بالسكوت ميت..
 حازم وفاء وأحمد.. ديل كلهم حيين
 مازن.. منى.. وعاصم.. لابسين حرير أخضر
 ساكت ويتفرج.. وأم در عروس النيل..
 ويزغردن نسوان.. للكل يوم عرسان
 ما بنكتم وأسكت.. إلا العسس ده يغور..
 سجنأ ملان ثوار.. ما قالوا فيو سراق..
 فيهو الشرف ذمة.. فيهو الغباش دفاق..
 وإن كنتي خايفة الموت.. يمة الرجال أحرار
 الطلقة يمة جواز.. لي حقنا المقلوع
 الطلقة يمة طلوع.. من ذل مهانة وجوع
 الطلقة يمة ثمن.. لي كلمة سمحة وقول
 زي وخزة الشوكة.. أقصر كمان في الطول
 الطلقة ما بتحرق..
 بيحرق سكات الزول
 بقتل سكات الزول ■ ■

وعدي القطعتو معاك..
 يا والدة دمي بفور.. لما البلد تغلي..
 جاييين تفاهاتم..
 حرقونا باسم الدين..
 كتلونا باسم الدين..
 الدين بقول الزول.. إن خلى حقو يموت..
 الدين بقول تمرق..
 الدين بقول الزول.. إن شاف غلط منكر..
 ببقى الغلط ستين..
 نحن السقينا النيل.. من دمنا الفايبر..
 الخوف عديم الساس.. وأنا جدي ترهاقا..
 فراس بشيلو الرأس..
 هزاع.. وسنهوري.. أيمن ولي الدين..
 أكرم صهيب أحمد.. ومحمد الخاتم..
 سندس وإستبرق.. وأنا « دمي » بتفرق
 لابسة الرحط والحق.. مليون بخور ولبان..
 وانا يمة دمي بفور..
 إن كان سجن يمة.. سجنأ يكوسو رجال..
 ما أندس فيو خائن.. مافيهو ولدا عاق..
 الضاق لهيب الشمس.. راح يقهر الرقراق..
 شن فايذة العيشة.. والروح مولعة نار
 الطلقة يمة خلاص.. لي زول خلاص موجوع
 الطلقة يمة غسل..
 الطلقة يمة حياة.. لي زول جريح مقتول
 قال المناضل يوم..
 بيحرق سكات.. الزول
 والطلقة ما بتقتل..



ميتشي جعفر، Shambat، Khartoum ١٨ ديسمبر ٢٠١٨







لكل ما سبق ذكره هي كانت ثورة جيل كامل ضد الطغيان و المفاهيم المزيقة. ظهر جيل كامل رافض للواقع المزري و انفصل عن باقي الأجيال و اتجه لتكوين حياته و لغته و فهمه بل و حتى موسيقاه و أغنياته الخاصة في حواضن و أمكنة و تجمعات خاصة به مثال لذلك شارع النيل وظل الشجر في الأحياء و ست الشاي. خلقوا رموزهم المتعارفة بينهم و عوالم تهتم بشؤونهم و احتياجاتهم كمجموعات الواتساب و الفيس بوك و الانستقرام.

و في سياق متصل و كحقيقة واقعية يجب ان نذكر ان مواقع التواصل الاجتماعي ساهمت بشكل كبير في نشر الوعي الثوري و الرغبة في التغيير و التلبية لنداءات المواكب التي كانت تنطلق عند الواحدة ظهرا و كان رمز الانطلاق هو (زغرودة) و الزغرودة هو صوت مميز ينطلق من حناجر النساء بشكل مميز دلالة عن الفرح و السرور لتشجيع الثوار على الثبات و عدم الخوف. يتجمع الناس بشكل منظم في المناطق التي اتفقوا عليها مسبقا و لكن لا يتم الاستطفا و توحيد الهتافات إلا بعد انطلاق الزغرودة و كان لا بد ان (تسقط بس). و كان الهتاف العفوي القوى الحاد (تسقط بس) هو مفردة مرتبطة بحالات الخذلان و الاكتئاب الجماعي و الإحباط أنها تعني انك مرفوض حتى لو أصلحت الخطأ أنت مرفوض و غير مرغوب فيك. اما مفردة (بس) فهي كلمة شعبية في بعض دول العالم العربي و السودان و هي حاسمة لا ياتي بعدها كلام ومعناها كفى أو الاكتفاء من الشيء.

هي كلمتين جميع حروفها ستة، تسقط أربعة حروف و بس حرفين و كلمة تسقط نأخذ معنى تهوى إلى الأرض.. هو شعار حاد كالسيف قطع الخيط الرفيع الذي يربط الشباب بالنظام. كان هتاف داوى تبناه كل الناس من صغير إلى كبير نساء و رجال.. كان كل الناس تنادى (بتسقط بس) و كأنهم يقولون ارحل أو ابعد من هذا المنصب، كان شعار سهل النطق و قوى التأثير و الدليل على تأثيره انه في اللقاء الشهير الذي صرح فيه على

«تسقط بس».. شعار اختزل حياة كاملة تفاصيلها قهر، ترهيب، جوع، تعب، اكتئاب، احتقان، إحباط، عطالة و محاولة طمس الهوية السودانية و تفشي الوساطة و التمكين و تفرق الطبقات الاجتماعية و عدم حصاد المجهودات.

كانت سياسية التمكين هي القبضة القاتلة التي أجهزت على أنفاس المؤسسة في الدولة، فكانت كل المؤهلات المطلوبة لشغل وظيفة هي الموالاة للنظام و تمرير أجندات الحزب الوطني الحاكم و هو الاسم الحركي للإخوان المسلمين اللذين يتخذون الدين واجهة للفساد و المحسوبيات.

الأهم من ما سبق هو تجاهل الحكومة لمتطلبات أبناء رحمها و أحشائها ممن تربو على مناهجها التي حاولوا أسلمتها لتكتمل مسرحية التدين و التقوى. كان أبناء هذا الجيل هم من تخرجوا من معسكرات التجنيد الاجبارى و هم من تشرّبوا ثقافته الحزبية المزيقة. سجن النظام السابق الشباب في سجن حدوده وطن كامل بمحاولة عزلهم عن العالم بقفل المسارح و السينمات و مراكز الشباب و إهمال مراكز الثقافة و الرياضة و تقليل الإنفاق على التعليم الذي كان يخصص له فقط في الموازنة العامة للدولة اقل من اثنين في المئة. زاد التضخم و نسبة العطالة بين الشباب، نهش الفساد مؤسسات الدولة و بالتالي زاد الفقر و افرازاته من جهل و إمراض و تسريب من المدارس. كان كل من لم يكن مع سياسة النظام فهو يعتبر جاهل و فارغ بل و في بعض الأحيان يسمونهم بالصعاليك.

زادت الهوة بين النظام و بين الشباب بإخفاق النظام في تلبية متطلبات المرحلة و فشل في موازاة العالم حتى أن اعترف أعضاء الحزب الحاكم في اجتماعاتهم السرية ايام الحراك التي ازيعت في قناة العربية الإخبارية باسم الاسرار الكبرى في تاريخ 17 يناير 2020 و لعدة اسابيع، اعترفوا ان أبناؤهم انضموا للحراك و ظهرت فيديوهات تحث الشباب على الثورة حتى من أبناء الوزراء مثال لذلك ابنة وزيرة الرعاية الاجتماعية و دادا يعقوب.

عثمان نائب الرئيس ورئيس الحزب الوطني في ذلك الوقت بان **(النظام تحرسه كتائب ظل)**. صرح إن الشباب ينادون **(بتسقط بس)** فكان تعليقه **«ثم ماذا بعد ان "تسقط بس" اعتقد انكم ستسقطون إلى الهاوية»**.

نادى جميع السودانيين في الداخل و الخارج ب **(تسقط بس)** **حكومة الجوع.. تسقط بس.. حكومة العسكر.. تسقط بس** **حكومة القهر.. تسقط بس** **حكومة الذل.. تسقط بس.**

إلى أن تم السقوط غير الرسمي في يوم ستة ابريل بعد أن تقاطر كل الثوار إلى شارع القيادة في محاولة لإقناع الجيش للتدخل وحسم القتل الجائر للثوار. و بعد أن تجمع الناس حول القيادة و لم يستجيب الجنرال ابن عوف لمطالب الثوار واستمرت محاولات تخويف الثوار و قتل بعض الشباب قنصا في القيادة كان الشعار العفوي الشهير المستوحى من الموقف المهيّب إن **(سقطت ما سقطت.. صابنها)**.. لم افهم المعنى إلا بعد أن شرحه لي بعض الشباب إن الصبة هي الاسمنت اللازم لبناء أساسات المباني و هو يمثل الشباب بأنهم تماما كالإسمنت لن يتزحزحوا من هذا المكان إلا باكتمال الاستجابة لمطالبهم و كان هذا هو النداء العفوي الذي لباه الجميع بالاعتصام أمام القيادة.

و بعد أن قررت قيادة الجيش الاستجابة و السقوط رسميا بإعلان أن عمر البشير لم يعد هو رئيس السودانين في يوم 11 ابريل 2019، رفض الثوار ابن عوف الذي لم يتحرك لحمايتهم إلا بعد مرور خمسة أيام قتل خلالها بعض الشهداء و هو الذي كان يصرح رسميا بانه يحمى النظام الحاكم. حينها انطلق الشعار العفوي وليد الحدث المستوحى من الموقف لمطلب السقوط الثاني **«شالو و داد و جابو امانى زى ما سقطت تسقط تانى»**. و قيل إن امانى هي زوجة ابن عوف و و داد هي زوجة عمر البشير. دلالة لاستبدال ديكتاتور بأخر. عندها استجاب البرهان و تنحى ابن عوف تلبية لهذا النداء. كان الاعتصام هو

المدينة الفاضلة حدودها شارع القيادة التي يمكن أن تستمر للأبد خلق فيها الثوار مكونات أحلامهم متمثلة في السلمية بتواجد كل أطياف الشعب السوداني من طبقات اجتماعية و أئنية و مؤسسات عادلة فكونوا مدرستهم لأطفال الشوارع و مطبخهم لانتهاء للجوع، كانت حدود الاعتصام هي المأوى لمن لم يكن له بيت و العيادة لكل مريض و أنشأت المكتبة و المسرح و تفجرت الفنون و الإبداعات متمثلة في الجداريات و اللوحات و الإشعار و الموسيقى. و كانت صلاة الجمعة بالقيادة يحرسها المسيحيون السودانيون تمثل أجمل صور التسامح الديني و نبذ الفرقة و تجريم الآخر. كما كانت التبرعات العينية مثل المواد الأولية للطعام لا تعد و لا تحصى و كان رمضان و هو وقت الصوم للمسلمين يأتي الناس بإفطارهم لمشاركة المعتصمين به، فانهالت التبرعات من خارج البلاد و من الداخل للصرف على الاحتياجات كالأدوية و علاج المصابين بالخارج. لم يكن هناك إحكام على الناس بالمظهر الخارجي و تجاوز السودانيون سؤ الاعتقاد بالهم العام.

و قبل شعار تسقط بس كان هناك شعار **(سلمية سلمية ضد الحرامية)** و هذا الشعار كان التزاما تاما بقطع الطريق على قوات الأمن الحكومية لاستخدام القوة بسبب أن الثوار مخربين و همجيين و التي اتخذتها سبب في قتل المتظاهرين في عام 2013 عندما قتل النظام بدم بارد أكثر من مائتين سوداني و سودانية في أيام قليلة بذريعة إنهم غير سلميين كان من بينهم عدد كبير من طلبة المدارس و الجامعات. في ذلك الوقت أطلق النظام العصابات و المنفلتين لتكسير و حرق الممتلكات العامة كمحطات الوقود و الخاصة كالسيارات و المحلات، و الصقت هذه التهمة بالثوار حتى يكون هناك حجة تبرر قتلهم في الشوارع. تعلم الثوار الدرس منذ ذلك اليوم و قطعوا الطريق علي قوات الأمن الخاصة بالنظام، بال التزام السلمية حتى آخر لحظة بالرغم من قتل كثير من المتظاهرين كشهد مدينة عطبرة في ديسمبر 2018 و الطالب محجوب التاج و الطبيب باكر و الخريج الفاتح النمير و عبد العظيم. قتلوا و كثير من

الشهداء بين شهري يناير و فبراير من عام 2019 في الخرطوم و هم عزل و غير مسلحين. اما الشعار الذي اختزل المطالب جميعها و التي تحتاج الى كتب لشرح معانيه و يمثل أركان حقوق الإنسان هو مطلب.. **(حرية.. سلام.. عدالة و الثورة خيار الشعب)**. توحد و بساطة الشعارات و قوتها و سهولتها ساهمت بشكل كبير بتوحد الناس و تحديد الأهداف.

شعارات و هتافات الثورة السودانية تمثل أدب و أخلاق و قيم السودانيون التي قيل عليها الثورة السلمية مقارنة ببعض ثورات المنطقة التي انطلقت بعدها مثل ثورة لبنان التي كانت الهتافات فيها عبارة شتائم للسياسيين و أهلهم بألفاظ بزية من ما جعل وزير خارجية لبنان جبران باسيل للاعتذار لوالدته التي تم شتمها بشعار بزية لعدة أيام متتالية في خطاب رسمي إذاعته كل قنوات التلفزيون الفضائية اللبنانية في يوم 3 نوفمبر 2019، كما و كتبت الصحفية انديرا مطر في جريدة القيس — لماذا — «يستسهل المتظاهرون استخدام لغة البذاءة» بتاريخ 21 أكتوبر 2019 و الذي اجابت فيه عن لماذا يشتم المتظاهرون السياسيين في هتافاتهم. و شرحت في نفس المقال ان هناك دراسة أجريت في الجامعة الأمريكية بيروت عن لماذا استعمل المتظاهرون هذه الألفاظ في هتافاتهم و استخلصت إلى انه نتيجة لسهولة الاستعمال اليومي و سماع هذه الألفاظ في المجتمع أدت إلى استعمالها في الحراك. و وثق مقال تم نشره على موقع فرانس 24 يوم 21/10/2019 بعنوان تظاهرات لبنان شعارات وهتافات وشتائم لم توفر زعيماً — <https://www.france24.com/ar/20191021> — وثق الشتائم و الكلمات التي استعملت كشعارات و هتافات انها دلالة على مدى غضب المتظاهرين على زعماء الطوائف و كل الطبقة السياسية.

كما ذكرت سابقا ان الاعتصام كان يمثل المدينة الفاضلة وأحلام الشباب التي كانت حدودها **(في القيادة)** ■

هند حسين

اغنية لفنان غير معروف

لصلو للغابو	كُل الزمن محراب..
سفر المنافي طويل	للفرقو الأحباب
شاي الصباح أجمل..	في حضرة الاصحاب..
يتناجو فوق الحوش	مهما الزمن غلاب
في الحلوة في المرة..	من سدة الأبواب..
تزرع براك تحصد..	قدم الستر جياب..
كل الوطن للناس لا خاصة	كل القبيلة غياب..
مهما العرق دساس..	لاعامة..
شرف الكتابة عيون	مهما العقيدة أساس..
يا صاحي قبل الطير..	في اللوح في الكراس
وهب العمر للغير	والدنيا شتوية..
يومية شان أم زين..	يومية يومية.
ما تتحرق بالشوق..	احلاما ما تنداس
شان يمشي مدرستو..	ما تبقى منسية.
مرفوع وعالي الراس..	زي كل ولاد الناس
اسمك ثلاثية..	اسمو وغنى ونضمو..
في كتفو طورية..	والكوز شبر في الإيد..
ولا الحرامية! ■	أولي انت ببلدك

اكتب بخط احمر

اكتب بخط احمر
لا رئيسو متعلم لا يوم مسك دفتر
هو راى للارهاب وأسس دولة شر
جيش التحرير املنا والثورة لينا خيار
نهتف باعلي صوت الثورة لن تنهار
نتلاقي في أبو قمره والنصر لنا شعار
أكتب.. أكتب.. أكتب أكتب وارمي اللوم
نبداها في الهامش والويل للخرطوم
أكتب.. أكتب.. أكتب أكتب وما تندم
حرية.. حرية بالوحدة نتلم
نفتح مدارس جد شأن كلنا نتعلم
نتلاقي دون تمييز نرقص بأحلي نغم
والبفرة تتراقص وتلتل القهوة
أكتب.. أكتب.. أكتب اكتب وصرح قول
نتقاسم الثروة القطن والسمس

انك تكون في القصر محمية بي عسكر
دستورو دبابه قانونو إسمو كجر
أكتب.. أكتب.. أكتب وأنشر في جريدة الدار
حالفين نحقق حلم نناضل ليل ونهار
نتلاقي في لبدو نتلاقي في سندو
امل اللقاة بكرة واريح الثورة النار
إن البلد موعود بثورة من مظلوم
إما الحقوق ترجع أو الج بان ما ينوم
حتماً نثور في يوم كل المراد يبسم
وحدة سلام وعدالة دا الواحة الفيهو ننع
نتعالج بالمجان ما هو العلاج دا الهم
سوداني.. سوداني النخلة.. تتمايل
والقشرة للمنقا ديل بيهم ننع
نتقاسم السلطة ما حق لكل زول
الصمغ والبتروال يمكن يكون دا علاج يمكن يكون بندول ■



أسامة ابوزيد، ٢٢ مايو ٢٠١٩



ضحى محمد، ١٢ أبريل ٢٠١٩ : في هذا اليوم، حل عوض ابن عوف محل عمر البشير في رئاسة البلاد.



میتھی جعفر





محمد کیتا، ۱۱ اپریل ۲۰۱۹



من التَّبَرُّج (بين الثورة والجنة) المُسَمَّى مَجَازًا بالقبر، ظل شاعر الوطن: محمد الحسن سالم حَمِيد — في عليائه — يقود ثورة التاسع عشر من كانون الأول/ديسمبر المجيدة، ويَحْدُو ركبها الذي يُشْبِهُ الشعر نحو النصر. وما أَشْبَه الثورة بالشعر في انزياحهما المعياري عن السائد والعادي والمتوقَّع. في الحديث عن العلاقة بين الشعر والثورة يجب عدم الانسياق نحو العلاقة الوظيفية للشعر، في كون للشعر وظيفة يؤدِّيها تجاه الثورة. فالشعر الحقيقي في حد ذاته ثورة في الشعر، والثورة بطبيعتها هي شعر الحياة.

الشعر في كامل شعره يتجاوز الجمالية السائدة والقديمة. وهو بهذا كما أشار أدونيس «يعكس على الصعيد النظري العام رفضاً للحياة التي أنتجت تلك الجمالية، والنظام الذي يرسخها». والثورة شعر في طبيعتها المدهشة والمفاجئة عن الواقع القبيح والمزري. الثورة ملحمة شعرية وجودية وجمالية. ألم تكن المواكب المُعلَّنة المسار والتوقيت التي قادها تجمع المهنيين في هذه الثورة الباذخة أشبه بالشعر؟ أو لم تكن عبارة «الواحدة بتوقيت الثورة» بيتاً من الشعر؟ أو لم تكن اللحظة الفارقة التي تحول فيها الموكب إلى القيادة العامة إلى اعتصام فيها لحظة شعرية؟ أو لم يكن من جاء بفكرة هذا التحول قد استجاب للإلهام أشبه بالإلهام الشعري؟

في الثورة السودانية — الأُشبه بالملحمة الشعرية طويلة النفس هناك لحظات أكثر شاعرية منها اللحظات التي تبادل فيها الموت والحياة موقعيهما الوجودي، فإذا مت فأنت حي، وإذا عشت فأنت ميت. ألم يَحَيَّ محمد هاشم مطر عندما أصابته رصاصة الموت، وهو يحاول إنقاذ كنداكة من الموت؟ أولم يكن كذلك الشهيد محبوب التاج؟ وأنظر إلى شاعرية العبارة التي دونها مطر على حسابه الإسفيري وهو يغالب الحياة: «لقد دهنت السماء بالأزرق»، والأزرق يليق بالشعر. أو لم تكن وقفة عبد العظيم شاعرية، وهو يقف شامخاً رافعاً ذراعه أمام الموت كالفافية «قامة واستقامة وأفضل ما يكون» كما قال محبوب شريف؟

في هذا التبادل الوجودي للمواقع بين الموت والحياة، ارتقى الشهداء إلى الحياة، وبُعِثَت الكنداكات من التاريخ، وجاء حَمِيد ليقود الثورة، رافعًا شعارها الأساسي (حرية سلام وعدالة) الذي جاء من ملاحمه الشعرية ذات النفس الطويل: (حرية.. سلام.. حرية)، (يا غنصري ومغرور.. كل البلد دارفور)، (سَلَمِيَّة! سَلَمِيَّة! ضِدَّ الحَرَامِيَّة). وردد خلفه الشعب الثائر والشاعر (حرية سلام وعدالة والثورة خيار الشعب). وصار إيقاع شعر حَمِيد هو إيقاع هتافات الثورة والشباب الذي يحفظ أشعار حَمِيد عن ظهر جرح. هو الذي جعل تمازج الشعر مع الثورة والثورة مع الشعر ممكنًا، وعلا الشعر الهتاف والشعار والكتابة على الجدار والرسوم والجداريات.

«يا حميد أقيف» مَنْ ذَا الَّذِي يستطيع تحويل اليوتوبيا إلى واقع، والأحلام إلى حقيقة، كما حدث في القيادة غير الثورية والشعر؟ بهذا صارت جمهورية اعتصام القيادة العامة أقرب إلى جمهورية أفلاطون وكميونة الطوباويين التي تردد «لوعندك خت.. لو ما عندك شيل»، والتي يقابلك حرس حدودها بابتسامة و(ارفع يدك فوق التفتيش بالذوق).

في هذه الجمهورية بُعثَ الشعراء من جديد، ولم يعد هناك من فارق بين الجنة (التي سعدت أرواحهم إليها قبلاً) وأرض الاعتصام. فجاء الدوش و محبوب شريف وحميد القائل "أصلي لمن أدور أجيك ببيك" وجاء أيضاً مفقود الشعراء أبو ذر الغفاري، فجلسوا "صابنها" مع أزهرى والقدال وعثمان البشري و بابر الوسيلة والشعراء الشباب الثائرين يشكلون جميعاً النشيد والهتاف والشعار وأغاني الاعتصام. وجاءت نورا وست الدار بت أحمد و عيوشة و الضو و عم عبد الرحيم والسرة بنت عوض الكريم. «جات داخله زي مرقعة غضب.. من جوف حليم.. رمت السلام..» وفي الترس شحتت شخيت. وجاء الشهداء والأبطال: تهرافا، هزاع، بابكر، ورفاقهم.

وجاء وردي من "صحية جروف النيل" بالقرب من "كلومبيا" و
 جاء العميري و مصطفى سيد أحمد من "السما الثامنة" «زي
 كل الطيور دائماً تحن لأوطاننا». وغنوا جميعاً تحت سماء القيادة

العامّة المرصعة بأنوار الموبيلات (يا شعباً لهبت ثورتك)،
(حنينهم)، (مرقنا مرقنا ضد الناس السرّوا عرقنا)، (دم الشهيد
دمي، أم الشهيد أمي)، (وكتين يضيع عرق الجباه الشم شمار
في مرقّة) و "جيناً ليك و الشوق دفرنا يا نشوق روحنا و دمرنا"
و (الطلقة ما بتحرق بحرق سكات الزول).

وكان حميد في هذه "المجالس غرة" كما قال أزهرى والقّدال
يناديه: «يا حميد أقيف شوف الخلق محنّة.. كفكف دمعك
والعبرة فوت خنقانة». وقف حميد في هذا الجمع تحفه غيمة
و يتلو:

كل البنات جو من الملى
هشن بكن شدن حكن وأزيارنا والمرحات خلي
يا انتي يا مرة العدل ماك في صعيدا تترجي
روح وبن قوليلنا عشان نحن نستناك تجي
لو فينا أطلعي منّا أو بره أدخلي.. أدخلي
غنيتك البارح براي انصلبتو التانيين غناي
والليل بتواتاك شعر دونو اعتاقك أو فناي
هيا يا مغنين الشعر.. ضدّها الزمان وطبنجتو
شعر الشعر.. شعر الشعر أيوه بلا علينا جاي
ونقر المغني كمنجتو
نادوس يا فجر القصائد يندلق

فإطمأن وتيقن من نبوءاته وقاد الأغاني والأنشيد والتهافتات
كما قال أزهرى:

«يا.. فطون فطن حميد فطمنا غنانا
لا طاطينا لا سينا الخيول تاطانا
قدمناه إمام لا ضل لا ضلانا
ما هاب السجون ما فز من سيطانا
وقت الكور حمى ثابت ركز لبطانا
لكن البلاد باعت ليالي بطانا
عالجا بالرحيل مدت وراهو لسانا
جربها بالعويل قلبت حديثاً رطانة
حنسا بالهديل رخت الحبيبة أضانا
زي كل الطيور دايمّا تحن لاوطانا
ما ضاق الوطن بس كبرت الزنزانة»

فكان إمام الشعراء أمام القيادة العامة ■

ياسر عوض عبدالله الطاهر



ميثشي جعفر، ٢١ مارس ٢٠١٩. الخرطوم، شمبات، لوحة على جدار منزل تصور النضال والقتال أثناء الثورة. تعرضت هذه المنازل بشكل متكرر للهجوم من قبل أجهزة الأمن والاستخبارات.



ملتزمة، وتركيبات فنية، وورش عمل إبداعية.. إلخ. وقد سنحت الأجواء الاحتفالية والودية بالتفاعل والتواصل، وإطلاق العنانٍ لحرية التعبير التي طال قمعها وكبح جماحها.

إذا كان الدين يحتل مكانة بالضرورة، فبالنسبة لهذين الفنانين الشابين فإنه لم يكن يمثل المحتوى الرئيسي لتبادلات وجهات النظر، حتى وإن كثرت التعبيرات الفنية التي تسخر من «الكيزان» أو تنتقد المتطرفين الدينيين. وتوضح «حياة»: «الدين ليس هو المشكلة، إذ إن معركتنا كانت تتمثل في البحث عن الحرية». كانت القضية الأساسية بالنسبة لهؤلاء الفنانين هي التجمع سوياً، وإنشاء منتدى «علماني» كبير يجمع بين أشخاص لم يعتادوا مخالطة بعضهم البعض، والتركيز على «العمل سوياً» و«الحديث معاً» — على حد تعبير «حياة» — بغض النظر عن تباين الأصول الاجتماعية أو الجغرافية.

ومن خلال مواقع التواصل الاجتماعي، حرصت «حياة» وأصدقاؤها على التواصل مع أماكن التظاهرات الغاضبة الأخرى سواء في الخرطوم أو في سائر المدن السودانية حيث كانت الأصول العرقية للمتظاهرين متنوعة للغاية. وقد شددَ الفنانان الشبان كثيراً على هذه النقطة. وبالنسبة لـ «حياة»، فإن العمل الجمعي الرامي إلى بناء مستقبل أفضل يتضمن بالضرورة هذا النوع من اللحظات. وإذا كانت الثقافة هي ما يعزز هذا التواصل بين مختلف الأجيال والعرقيات والطبقات الاجتماعية فإن الفنون والآداب تثير بالضرورة مناقشات حول الاقتصاد، أو البناء الاقتصادي المستقبلي، أو بالطبع السياسة. وبينما كنا نتوقع رؤية أكثر طوباوية، فإن الخطاب السياسي لـ «حياة» يتسم بالبراغماتية الاقتصادية المذهلة، والواقعية في ضوء التحديات المقبلة.

ومن ناحية أخرى، يؤمن محمد بضرورة تعزيز الوعي بأهمية المكانة التي تحتلها الثقافة في تأسيس أمة جديدة. كما يؤكد على أن نظرة كبار السن تجاه الشباب — لا سيما تجاه الفنانين — قد تغيرت بالكامل خلال هذه الثورة. ويشير إلى أنه بعد

يُبرزُ انخراط الفنانين في الاعتصام مدى أهمية الثقافة في المجتمع السوداني، سواء من حيث جذورها التاريخية أو الحياة اليومية، على الرغم من شدة المعاناة التي تُسرِّبُ الحياة اليومية طيلة العقود الثلاثة الماضية.

لكي ندرك بشكل أفضل كيف عَاشَ الفنانون الشباب هذه الفترة التقينا رَسَامَةً شابة تُدعى «حَيَاةُ أحمد»، ورَسَامَ شاب يُدعى «محمد موريرا». وعلى الرغم من المخاطر الأمنية، فقد أرادا المشاركة في الثورة لأنه، حسب رأيهما، لم يكن هناك ثَمَّةُ خيار آخر. يُسلِّطُ هذا اللقاء المزدوج الضوء على تعدد دوافع ومبررات هذا الالتزام الثوري، كما يُبرزُ تصميم الشعب السوداني على إحداث التغييرات. فبالنسبة لهذين الشابين وللغالبية العظمى من المتظاهرين، كانت الثقافة والفنون بكافة أشكالها وسيلة سلمية لإِسْمَاعِ أصواتهم المتعددة والموحدة بُغْيَةَ المطالبة بمستقبل أكثر ازدهاراً وديمقراطية.

تختلف المبررات التي دفعت كل منهما للالتزام السياسي. أراد «محمد» وأصدقاؤه أن يتمكن الفنانون مثل سائر المهنيين الأخرى (الأطباء، والمهندسون، والأخصائيون الاجتماعيون، والشركات) من المساهمة الفاعلة في هذا الحراك الشعبي الكبير. لذا فقد قاموا بجمع الأموال لشراء بعض المستلزمات، وقرروا الذهاب لرسم لوحات كبيرة على جدران الميدان.

أمَّا بالنسبة لـ «حياة» فقد أرادت المشاركة للتنفيس عن غضبها، ولكن أيضاً لمواكبة هذا الحدث الذي بدأ لها تاريخياً. وكان السبيل الوحيد أمامها هو مشاركة فنهما مع الآخرين. لم تكن تسعى لِمُجَرَّدِ استعراض مواهبها أو تسليط الضوء عليها، وإنما أرادت إيجاد تعبير جماعي قائم على مشاركة اللحظات الثقافية مع المتظاهرين، وإشراك المبتدئين في إبداعاتها التصويرية.

كان الاعتصام يَعبُجُ بشتى وسائل التعبير الفني عن السياسة: عروض موسيقية، ولوحات جدارية، وحفلات تعارف، وأعمال مسرحية

بضعة أشهر من الأحداث، فإن الحَيّ الذي يقطنه، ومجتمعه المحلي، وحتى عائلته غَيَّرُوا تمامًا الطريقة التي يخاطبونه بها، وتغاضوا جزئيًا عن طابعه الهامشي غريب الأطوار؛ مما أشعر محمداً بمزيد من التقدير، وأنه لم يعد يُنظرُ إليه بوصفه شخصاً عديم الفائدة. ويستطرد محمد: في السابق «عندما كنت أذكر أنني فنان، كان الناس يَتَضَاكُونَ. أما الآن فهم يأتون لرؤيتي في داري». ويدرك محمد أن الطريق سيكون طويلاً ومليئاً بالعثرات؛ ويشدد على الاحترام الذي ساد بين الناس خلال لحظات المشاركة في الاعتصام. كما يؤكد أنه لو لم تتبوأ الفنون هذه المكانة المرموقة، لما ساد التَّحَضُّر والاحترام المُتَبَادَل في الأحاديث بين المتظاهرين ذوي القناعات السياسية المتباينة بدرجة كبيرة في بعض الأحيان.

وتوضح «حياة»: «تُعْتَبَرُ الثورة في حد ذاتها شكلاً من أشكال الفن». وقد غَيَّرَت الثورة أيضاً نظرة الفنانين الذين اكتسبوا، على حد قولها، رؤية أكثر شمولية للمجتمع الذي يعيشون فيه، ويجب عليهم مخاطبة عامة الشعب، وتكييف رسائلهم وفقاً لِمُخْتَلَفِ الجماهير المستهدفة. في السنوات الأخيرة، لم يكن الفن يحظى بكثير من القبول، ويرجع ذلك جزئياً إلى أن الفنانين كانوا لا يتواصلون مع الناس، ولا يجيدون مخاطبة العامة. كما تُعَرِّبُ «حياة» عن ثقتها في أن هذا الهوس الجديد بالثقافة سيكون له مردود إيجابي كبير على الديمقراطية، وأن احترام السودانيين لبعضهم بعضاً سيتزايد إذا ما أولوا المزيد من الاحترام للأعمال الفنية المختلفة. وتتخيل «حياة» أنه مع توافر المواد المحلية، لا سيما تلك الناتجة عن تدوير المخلفات، فإن إبداعات فنية جديدة سترى النور، وسيتم تشجيع الفنانين، وإنشاء مدارس فنية جديدة.

وتشير كُلُّ من «حياة» و«محمد» إلى أن الاهتمام بالثقافة والمكانة الممنوحة للفنون في التظاهرات لا تزال تبعث على الابتهاج والتفاؤل ببناء مستقبل باهر، خالٍ من الخِزَق البالية التي كان يرغب النظام البائد والمحافظون الدينيون إلباسها

للشباب. وقد عرف الفنانون التَّوَأْفُون للحرية، بدعم من كافة الأجيال، كيفية غرس الرغبة في تغيير الواقع من أجل التحرر من هذا النَيِّر الذي لا يُطَاقُ احتماله.

وإذا كان صحيحاً أن أحداث الخرطوم كان لها صَدَى هائلاً، فإن هذين الفنانين الشابين يحلمان ببلد يَزْفُل في حرية التعبير، حيث تتيح لهما وسائل الإعلام الجديدة استكشاف كامل بلدهما الذي لا يعرفان عنه الكثير؛ إذ يُشِيرَان في الواقع إلى تَوَفُّر القليل جداً من المعلومات حول بلدهما، حتى على شبكات التواصل الاجتماعي التي لعبت دوراً بارزاً في هذا الحراك الجماهيري.

هناك رغبة كبيرة تجتاحهما، وقد عقدا العزم على مواصلة الكفاح، بل التضحية بالنفس في سبيل الوطن، إذا ما قُدِّرَ لهما السقوط من جديد في براثن نظام استبدادي آخر. كما يؤكدان أنهما لا يخشيان القمع، لكنهما يدركان أن الطريق سيكون وعراً وطويلاً ومحفوفاً بالمخاطر. ومع ذلك، فإنهما يرغبان، كل على طريقته الخاصة، في مواصلة المُضِيِّ قدماً، «بخطى وثيدة» معاً، نحو بناء أمة جديدة يصبح فيها الحلم مُمَكِّناً، ويحظى في كنفها كل فرد بمكانته من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية ■

فابريس مونجيا Fabrice Mongiat



محمد نور الدين، ١٠ يوليو ٢٠١٩





أحمد انو، ٢٩ يوليو ٢٠١٩. الخرطوم، بحري، فنانة تكتب «الدم بالدم» على الحائط خلال مظاهرات تندد بالانتهاكات التي ارتكبتها قوات الدعم السريع في مدينة الأبيض.



قُمِعَت الثورة السودانية باستخدام الرصاص، ولُوحِقَ المناضلون السياسيون في عُقَر دارهم، لكن الثوار اعتصموا وخَيَّمُوا في ميدان القيادة، قُبَالَةَ مقر القيادة العامة للقوات المسلحة، متسلحين فقط بفنهم.

لماذا اكتسب الفن كل تلك الأهمية في هذه الثورة؟

ليس الفن مهمًا بالنسبة لي أنا فقط، فمنذ «الانقلاب الأبيض» الذي قاده الإسلاميون عام 1989 للإطاحة بفترة الحكم الديمقراطي الثالث في السودان، نبذ النظام الفنون، وتمادى في ترويج الجهل وانعدام الوعي بقيمة الثقافة وبدور الفنون في المجتمع. كما عَكَفَ النظام، من بين العديد من «مآثره» الأخرى، على تدمير أبلغ العناصر تعبيرًا عن هذا الفن: النُصُب التذكارية والنماثيل. ومن ثَمَّ احتدم العداء وانعدام الثقة بين النظام والفنانين حتى سقوط النظام في شهر نيسان/أبريل 2019.

ما الذي أراد الفنانون التعبير عنه من خلال اعتصام القيادة العامة؟

أظهر الفنانون غضبهم ومشاعرهم من خلال أعمالهم ولوحاتهم التي زينوا بها جدران المباني حول ميدان الاعتصام وفي شوارع ومدن السودان بشكل عام. لقد تجاهل نظام عمر البشير الهدف الحقيقي لكل «ثورة»، كما أهدر طاقات إنسانية بسبب رؤيته المَعْبِيَةِ وفهمه الخاطئ للسودان ولتطلعات شعبها. لقد خاض هذا النظام معركة دامية جريًا وراء الوهم، والتي كانت الضحية الحقيقية والأساسية هي المواطن السوداني، سليل تاريخ معقد وباهر، وحضارات عريقة ومرموقة صُهرت جمعاء في بوتقة للفنون والثقافة ■

فابريس مونجيا Fabrice Mongiat: ما هي برأيك الأسباب التي دفعت الشعب السوداني إلى الثورة؟

محمد موسى: إن الثورات لا تُرتَبَل، ولكنها أيضًا ليست وليدة إرادة الأفراد ولا أقوى الكيانات، وإنما هي نتاج الظروف القاهرة والمستقلة عن أي تواطؤ مقصود، وليس من الممكن تسريع اندلاعها.

هَزَمَت القوى الشعبية المناوئة لنظام الحكم في الخرطوم الأجهزة الأمنية الاستبدادية. وقد أسفر هذا الانتصار الفريد والبسيط من حيث الأدوات المتاحة — الإنترنت — عن سقوط أحد أعنى الطغاة الدكتاتوريين في المنطقة. ولم يتصور الكثيرون قَطْ إمكانية الإطاحة بعمر البشير من السلطة، ولا حتى هو نفسه.

ما هي خصوصية هذه الانتفاضة بالنسبة لك؟

تدمج ثورات جميع البلدان بين التعدد الثقافي الهائل وذلك العنصر المشترك المُسَمَّى بالفن: فن يعمل على إدامة هذه الثورات وتناقُلها عَبْرَ الأجيال. وقد شهدنا على مر التاريخ وجود تمازج بين الثورة والفن. وهذا المزيج ليس من قبيل الصدفة وإنما، بلا ريب، نتيجة تفاعل مختلف مكونات المجتمع.

تتفاعل الأحداث السياسية والمعطيات الاقتصادية والعناصر الفنية فيما بينها. فعلى الساحة السودانية المتسارعة الوتيرة، تداعي التطورات السياسية تجعل الشخص المَعْنِيَّ بكل ما يدور من حوله وكذا الفنانين — الذين هم أنفسهم يمثلون جزءًا من الرأي العام — تجعلهم يساهمون على نطاق واسع في التأثير على هذا الرأي العام.

إن الفن هو الوسيلة الرئيسية والجوهرية للمجتمعات الإنسانية للتعبير عن أفكارها، وأتراحها، ومطالبها، وتطلعاتها. فالفن هو أداة التعبير الأساسية لأي تجمع بشري في كافة العهود (سواء كانت فنون الرقص، أو الموسيقى، أو الأغنية، أو الجداريات). كما يتيح الفن التأثير على أي حركة أو ثورة.



عصام حفيظ. رسم المتظاهرون وطلاب كلية الفنون الجميلة لوحة جدارية ضخمة تشهد عليها القليل جداً من الصور، من المحتمل ان الجدارية نفسها تم إتلافها.



محمد نور الدين، ٢٠ إبريل ٢٠١٩



مجاهد ابوالقاسم عوض، ١٨ ابريل ٢٠١٩



من هذه النقطة التي ضَمِنَ فيها المجلس العسكري عدم المساس بالاعتصام يُمكن اِعتِبَارَ المتاريس حدود بين دولتين في مرحلة انتقالية نحو الاندماج حسب مقتضيات التفاعل السياسي بين ممثلي الحراك والمجلس العسكري، إذا صارت الأمور بصورة فيها اعتراف مُتَبَادَلٍ بالشرعية والسيادة والحرص على العمل سوياً من أجل تحقيق مطالب الثورة بتحقيق العدالة والحرية وبناء دولة القانون والمحاسبة وتكوين الحكومة التي تحقق ذلك.

وكلما أخفقت كل الأطراف أو أحدها، وحدث سوء تفاهم، وتضارب مصالح، ومحاولة هيمنة، وتقليل من دور الطرف الآخر، واستخدام اللغة التصعيدية أو التهديد، ينعكس ذلك عند المتأريس مباشرة في شكل مناوشات وتصعيد وتجريم مُتَبَادِلٌ بَلْ وَعُفْ.

دائمًا ما تزداد وتيرة المناوشات عند المتاريس كلما اهتزت الثقة بين الجانبين، ويظهرُ بعض منتسبي القوات النظامية امتعاضهم من سؤال الثوار عن هُويَّتِهِمْ. وقد كنت شاهدًا على مشكلة نشبت بين حُرَّاس المتاريس وشخص ادَّعى أنه يتبع للقوات المسلحة، بينما لم يَكُنْ يرتدي زِيًّا رَسْمِيًّا، ولا تحمل عربته لوحات القوات المسلحة. وقد رفض إبراز هويته، وأراد أن يَخْطِ نقطة التفتيش بالقوة مُهْدِدًا بالسلاح؛ مما أثار حَفِيظَةَ شباب المتاريس، فازداد الشباب حماسًا في منعه. وفي غضون دقائق معدودة، تجمع المئات من داخل ميدان الاعتصام لمنطقة الحدث، وجاءت قوات من الدعم السريع على رأسها ضابط، وأمروا هذا الشخص أن يرجع من حيث أتى.

ومن المظاهر المتكررة عند محاولة فتح مِتراس مُعَيَّن يزداد الثوار حماساً في تلبية المتاريس وتزداد أعدادهم، بل ويتمددون ويقومون بتفصيل مسارات أخرى، وكأنَّ عدم اعتراف دولة دولة ما وراء المتاريس بسيادتهم يحثهم على توسيع حدود دولتهم، والضغط اغلاق وكبارى جديدة، وتوسعة منطقة الاعتصام.

تصاعدت حدة التوتر بين محاولة إزالة المتاريس من جهة وتوسعتها وإقامة متاريس جديدة من جهة أخرى. وبلغ التصعيد أوجه يوم ثمانية رمضان عندما تم إغلاق طرق وجسور جديدة وإقامة متاريس حتى في كثير من الطرق الرئيسية في أحياء الخرطوم المختلفة.

اشتبكت قوات اختلفت الروايات حول هويتها مع الثوار، واستخدمت عنفاً مفرطاً أدى إلى مقتل سبعة وجرح ما يُقاربُ المئتين. جاءت الموابك من معظم أحياء مدينة الخرطوم للحاق بميدان الاعتصام بطريقة تدل على حرص الناس عليه وتأمينه. استمر ضرب النار من الساعة السابعة مساءً وحتى الحادية عشر، واستمر تدفق الموابك حتى الثانية صباحاً.

كلما زاد عدم الاعتراف بشرعية الفاعلين المختلفين توسعت فرص العنف عند المتاريس، تمامًا كحالة الحدود بين دولتين متجاورتين يعتمد درجة التأهب على وتيرة العلاقات الدبلوماسية بينهما.

الْمَتَارِيسُ الْفِكْرِيَّةُ وَالْخِطَابِيَّةُ

ما وراء الوجود المادي والبشري للمتاريس هناك سيل جارف من الحجج والمواقف المؤيدة أو المناهضة تعملان على تهديدها أو تثبيتها عبر تفاعل جدلي مستمر، بحيث إنه كلما نجح خطابٌ مُعَيَّنٌ في ابتذال الاعتصام، وإظهار ممارسات «غَيْرَ مُقْبُولَةٍ» فيه، أو أن الثورة بلغت غايتها، أو أنها سُرِقتْ بواسطة القُوَى المفاوضة، أو تصوير مُمَثِّلِي الحركة بأنهم إقصائيون وضد الشريعة، أدى ذلك إلى تقليل حماس الناس للذهاب إلى الميدان والتواجد فيه لفترات أطول. بِالْمُقَابِلِ كلما تم دَحْضُ تلك الحجج والمواقف وإظهار أن الثورة مازالت مُهَدَّدَةً من أطراف كثيرة تحاول سرقتها أو قمعها أو فرض أجندتها على إرادة الشعب، زاد ذلك من ارتباط الناس بالميدان. وبفعل تلك الحجج والمواقف المتصارعة في الفضاء

السياسي يتهدد أو يُؤمّن الميدان. وهذا ما يمكن تسميته بالمتاريس الفكرية والخطابية، وهي مرتبطة بصورة مباشرة بالمتاريس المادية على الأرض.

المفاهيم والرموز المُرتبطة بالمتاريس

المتاريس وثيقة الصلة بمفهوم الأمن وجدليّة من يؤمّن من؟ وعلى عكس ما كان سائد عن مفهوم الأمن الذي كان يبعث الي نفس الثوار معاني الخوف والبطش، أصبح المعتصمون يشعرون ويضفون المعنى الحقيقي للأمن عند المتاريس، كما يتردد في مقولة: «ساد الأمن في ظل غياب جهاز الأمن». ويُترجم هذا المفهوم المُستحدث للأمن عند نقطة التفتيش، وإظهار الداخلين لقابليتهم للتفتيش أكثر من مرة، بل وتبادل الابتسامات وعبارات التقدير والثناء لبعضهم البعض.

ومن يمتنع من التفتيش أو يرفض التعاون لا يجابه بحماة المتاريس فقط، بل يسرع كل من هو متواجد بالقرب نحوهم ليشكل دعماً لهم تجاه الغازي الذي لا يبدو أنه يحمل خيراً للاعتصام، كما يتم اعتباره من مؤيدي النظام أو أجهزة أمنه وهم يرددون «ارفع يدك فوق التفتيش بالدوق»، أو عبارة «الما بيتفتش كوز». فعلى عكس مفهوم رجل الأمن التقليدي الذي كان يتعامل ويُعامل على أنه يوفر الأمن للحكام ضد الشعوب، صار مفهوم الأمن في ميدان الاعتصام: نؤمن أنفسنا بالتعاون ضد من يتربص من الخارج بما فيهم أجهزة الأمن وقوى الثورة المضادة.

كانت هنالك حدود متفاوتة بين الدولة والقطاعات المختلفة للمجتمع السوداني تختلف في فتراتهما، وشدة العدائية فيها ودرجات التضحية عندها ومدى عنف الدولة تجاهها وسيادة اللاأمن عندها. فإذا أخذنا في الاعتبار أن هذه الثورة جاءت

تتويجاً لثورات كثيرة سبقتها، وقُدّمت فيها تضحيات متفاوتة حسب درجة حدة العداء وسمك الفاصل، فإن المتاريس في ميدان الاعتصام تُعتبر تجميعاً تراكمياً لكل تلك المتاريس التي اتحدت مع بعضها لتحمي أحلام كل تلك القطاعات في خلق دولة مختلفة. وتَجَسّد هذه الفكرة في كل الخيام التي نُصبت داخل ميدان الاعتصام تحمل قضايا وآلام وآمال مختلفة.

تحمل المتاريس فكرة عدم خيانة تلك التضحيات التي أوصلت السودانيين إلى ما هم عليه. وبالطبع أكثر التضحيات حضوراً هي دماء الشهداء. وكثيراً ما يتم تشبيه المتاريس بشجرة مسقية بدماء الشهداء، أو بإنسان شجاع يحمي قضايا الوطن كما في أغنية «ضربو الترس رصاص».

المتاريس في بُعدها الرمزي ليست مَحْمُولَةً بتضحيات الماضي فحسب، بل تُظهر أيضاً ملامح الدولة التي يعمل لأجلها الثوار. كثيراً ما يظهر ذلك في الروح التي يعملون بها ودقتهم في حماية الحدود وغربلة ما يدخل إليها، عكس الإفراط الذي تواجهه حدود الوطن المترامية، وعكس التفضيل الذي يجده أصحاب النفوذ السياسية في المطارات والموانئ والجمارك الحدودية. وظهرت على سبيل المثال صور توضّح كيف أن أحد قادة تَجَمُّع المهنيين تم تفتيشه بصورة تؤكد أن ليس فوق قانون التفتيش أحد.

لكن هذه الصورة الزاهية تشوبها بعض القصص كلما ازدادت أيام الاعتصام، مثلاً: هنالك من يستغلون السلطة، وأن المتاريس قد اخترقتها بعض العناصر غير الجادة أو العناصر الأمنية في بعض الأحيان، كما ظهر ذلك في قصة الصحفي (إبراهيم شوتايم) الذي تعرض لمضايقات شبه مَقْصُودَةٍ، وهو من أشهر مراسلي مواقع التواصل الاجتماعي حيث إن تصويره ومقابلاته كثيراً ما تُنقل مباشرة في بعض القنوات الإقليمية، لذا اعتبر مهاجمته تهديداً أمنياً يتطلب مراجعة لجان المتاريس، وكيف تُعَيّن، وكيف تعمل، وعمل ورش لتدريبهم وترقية أدائهم.

المتاريس كرمز للشرعية الثورية ظهرت بوضوح عندما ذهب بعض قادة قوى التغيير وتَجَمَّع المهنيين لإثناء الثوار عن التصعيد غَيْرَ الْمُحَظَّط، وإقناعهم بإزالة المتاريس التي كانت توسعت وتسببت في الصدام وارتفاع وتيرة العنف وتعليق المفاوضات. وقد قاوم بعض الشباب إزالتها بحجة أنها خيانة لأصحابهم الذين ماتوا دفاعاً عنها. واستمرت النقاشات بينهم وبين القادة حوالي نصف الساعة بعدها اقتنعوا بإزالتها. ومقدرة القادة في إرجاعهم في أقل من نصف الساعة بينما لم تستطع قوات تضربهم بالسلح لمدة أربع ساعات عن إرجاعهم أظهرت مدى شرعية التَجَمُّع.

وهناك رمزية تحمل بُعْدًا دبلوماسيًا عندما يتم تفتيش السفراء الأجانب الذين يزورون ميدان الاعتصام كثيرًا، بطريقة تُظهرُ توقعهم لتعامل دولتهم بندية مع الدول الأخرى، عكس ما كان سائدًا في الدولة الأم. في تداول صور سفراء غربيين يُفْتَشُّون قبل دخول الميدان صاحبتهما رسالتان مهمتان: الأولى كيف أن السفراء الأجانب الذين غالبًا ما يطلبون من مواطنيهم مغادرة البلاد عندما تسوء الأوضاع الأمنية لم يفعلوا ذلك، بل ويزورون ميدان الاعتصام، وهذا يُعْتَبَرُ شهادة دولية لسلمية وُفْدِي حراكهم.

والنقطة الثانية كيف أن المجلس العسكري الذي يرهن الثورة لإرادة المحور السعودي-الإماراتي يمتنع من مجرد زيارة هؤلاء السفراء الغربيين على أنها إنقاص من سيادة الدولة. فَمَنْ يُهَيِّنُ سِيَادَةَ مَنْ؟ ومن الذي يمارس سياسة الانبطاح أمام القوى الخارجية؟ ومن يتعامل مع القوى الإقليمية والدولية مسار جدل وتخوين متبادل؟ ■

تامر محمد أحمد عبد الكريم سيد أحمد







سعد التني، ١٣ ابريل ٢٠١٩





ايثار جبارة، لا تستطيع ايقاف ارادتي.

أفاد مكتب الأمم المتحدة المَعْنِي بمكافحة المخدرات والجريمة حول العالم في تقريره السنوي أن 70% من الإنتاج العالمي للكوكايين في العام 2017 يتم في كولومبيا بأمريكا الجنوبية، ومؤخراً زادت نِسْبُ التصنيع بما يفوق الـ ٥٠٪. اشتهرت فيما اشتهرت دولة كولومبيا بالمخدرات وتجارها وكذلك ارتفاع معدلات الجرائم؛ ومن ثم ارتبط اسمها في الأذهان بكل ذلك.

واستناداً إلى ما سَبَقَ ذِكره، تَوَدُّ المَقَالَةُ تناول ما حدث في المنطقة المُسمَّاة كولومبيا «الخُرْطُومِيَّة» وهي موجودة أصلاً في أطراف محيطية بالخُرْطُوم العاصمة، يتم فيها تناول المخدرات وكذلك الخمر، وهي محظورات يُعاقَبُ عليها قانون النظام العام في فترة حكم الإسلاميين. تقع منطقة كولومبيا في قلب الخُرْطُوم قريباً من منطقة القيادة العامة، تحديداً أسفل كبري النيل الأزرق مقابلة للنيل من الجهة الجنوبية، وهي قريبة جداً من منطقة الاعتصام الذي أعقب سقوط حكومة البشير في كانون الأول/ديسمبر 2019. هي منطقة موجودة من قبل الاعتصام بزمان طويل، من المناطق المعزولة التي يرتادها الباحثون عن الخمر والمخدرات، والشرطة تعلم ما يدور فيها؛ لذا لجأ بعض من المعتصمين والمعتصمات إلى هذه المنطقة؛ طلباً لتدخين المخدرات أو شرب الخمر مع الجلوس لاحتساء أكواب الشاي من «سِتَات الشاي». ظلت منطقة كولومبيا طوال فترة الاعتصام مكاناً وجزءاً لا يَتَجَزَّأ من اعتصام القيادة.

المُجْتَمَعُ الفَاضِلُ

يُعرَفُ عن المجتمع السوداني أنه مجتمع محافظ يستند على عادات وموروثات محافظة تصل في بعضها إلى أن تكون متزمتة في بعض الأشياء، ولا تقبل الحياد في كثير منها. واحدة من هذه الأشياء تعاطي المخدرات بجميع أنواعها. الشخص المُتَعاطِي يُنْظَرُ له على أنه شَخْصٌ غَيْرُ مَسْئُولٍ، وليس لديه تقدير واحترام للعادات، وأنه وَصْمَةٌ لَأُسْرَتِهِ، أَفْلَتَ من التربية السليمة. أما من الناحية الدينية، فقد أتى بإثم كبير تمثل في تعاطيه لمحرّمات

نَهَى عنها الدين، وأنه خالف الشرع والشرعية. يَبْدُ أن كل ذلك لم يَجِدْ من تواجد التعاطي والمتعاطين، فهي صورة تجسد حقيقة الصراع/الخلافا العميق ما بين «الخير والشر، الحسن والسيئ، والفضيلة والرذيلة»، وطرف آخر يري فيها مساحة للترويح، وفك الضيق النفسي الذي خلقته ظروف الحياة الضاغطة، وقناعاتهم بما أنهم لم يقوموا بإيذاء الآخرين فمن حقهم أن يبحثوا عن الوسائل التي يجدون فيها صَلاَتَهُمْ.

يحاول المجتمع على الدوام التمسك بالقيم على أنها مِغْيَارٌ ظاهرٌ للعَوَام، يسهل معه التصنيف ومنح السمعة الجيدة للشخص المَحَافِظ عليها، على عكس الشخص الذي يتمرد/يرفضها فهو غير مشكور ويقع تحت دائرة تَصَيُّدِ الأخطاء حتى وإن امتلك الخير كله.

تَتَوَلَّدُ أسئلة يمكن أن تُثيرَ نقاط تفكيرية حول:

- محاولة إبراز المجتمع لوجهه الحسن ومحاولة إخفاء الوجه السيئ؟
- كيفية تعامل المجتمع المَحَافِظ/التقليدي مع «نموذج كولومبيا»؟
- هل كولومبيا ظاهرة من ظواهر التمرد أم حياة سردابية موجودة ومؤثرة؟
- شعار (كولومبيا تُمَثِّلُنِي) هل هو دليل على التمرد والكفر بما هو قائم من قيود وتحفظات؟

في محاولة السعي الدائم والحديث لإظهار ما هو طيب ومقبول اجتماعياً يكون الإنكار والاستهجان لما هو غريب أو غَيْرُ مُعْتَادٍ عليه في المجتمع «الفاضل» محل لعدم استيعاب ولعدم قبول، لكن يظل التحدي الخفي حول هل الاستنكار والاستهجان ينفيان وجود الوجه «القبيح» لنفس المجتمع؟ معروف بحسب دارسي علوم الاجتماع أن المجتمع يتكون من أفراد يشكلون الجماعة التي تجمعها بيئة وظروف مشتركة في مكان واحد. وبطبيعة الحال، فإن الجماعة ليست جميعها مُتَجَانِسَةٌ أو مُتَسِقَةٌ.

من هذا الباب نركز على الإجماع بصلاح أو فساد المجتمع الواحد يكون مرهوناً لتقديرات أفراد تنطلق من أفكار واعتقادات تعينهم فيما تعني. وعليه تصبح مقادير الصلاح والفساد نسبياً وتختلف من شخص إلى آخر ومن مجموعة إلى أخرى، نعي بالقول: إن مقاييس الطهر والرذيلة تعتمد/تختلف من شخص لشخص ومن بيئة إلى بيئة أخرى، لا يمكن أن تكون الأحكام على إطلاقها صحيحة أو مُحَقَّة. عُني من كل ذلك التأكيد على أن الخير والشر، الرذيلة والفضيلة صَنَوَاتٌ في الوجود، وأَيُّقُونَاتٌ تشكل الكائن البشري، فقط تظل موجودة لكن من غير المُسْتَحَبِّ إظهارها. يظل نموذج كُولُومْبِيَا غَيْرَ مَقْبُولٍ اجتماعياً؛ بسبب تشكيله لحياة موجودة أصلاً في المجتمع، ولكنها سلوكيات مرفوضة يحاول مجتمع «الفضيلة» إبعادها والتخلص منها. لذلك كل ما يحدث أن مجموعة ليست بالقليلة غير قابلة لديها الاعتراف بأن: كُولُومْبِيَا نموذج لحياة موجودة لفترة ليست بالقصيرة في هذا المجتمع/نفس المجتمع «الفاضل» ويتعاطف معها أعداد غير قليلة من ذات المجتمع. تاريخياً يوجد في المجتمع نموذج للشخص الراض لمثل تلك السلوكيات التي تتم في دائرة كُولُومْبِيَا، بينما في حياته الخاصة أي في محيط دائرته الخاصة يمارس نفس الفعل الذي استنكره في علانيته.

هذا ما جسده الأديب نجيب محفوظ في ثلاثيته عندما قصَّ حياة أحمد عبد الجواد، الشخصية الحازمة المُتَسَلِّطَة داخل المنزل، ونفس الشخصية هي الشخصية اللاهية الطروب التي تبحث عن الأُنس والطرب وشرب المحرمات في السراييب. أحمد عبد الجواد نموذج جيد للمجتمع الذي نتحدث عنه في سَعْيِهِ الدائم لإظهار الجانب الجيد وقوة الشخصية، وإخفاء الجانب غَيْرِ المُحَبَّبِ مجتمعياً. يمكن أن نقول بأن كُولُومْبِيَا تمثل ظاهرة من ظواهر التمرد على كل تابوهات المجتمع «الفاضل». انعكس هذا التمرد في التواجد العلني في منطقة كُولُومْبِيَا، وكيف لهؤلاء الشباب تعاطي المخدرات والخمر دون خوف من تصنيفات المجتمع لهم، بجانب رفضهم التام للسردابية واختيارهم لمنطقة تُعْتَبَرُ قلب المدينة والجميع يرون ويسمعون ما يحصل بها. هي رسالة واضحة عكست عديد من المعاني أولها عدم الاقتناع بالمعايير الموجودة والمقدسة لما

هو عَيْبٌ أو غَيْرُ مُسْتَحَبِّ، نفعل ما نريد دُونَ قَيْدٍ أو شرط. نظرة الأجيال للأشياء مُختلفة، وكل يرى الصَّوَابَ والأمثلة من جانبه غَيْرَ مَعْنِي بماذا يفكر الآخر ومدى تقبله ورفضه. توضيح بأن الزمن والتقديرات اختلفت، ولم تعد بنفس ديمومتها ونمطها القديم. رسالة توضح بأن كُولُومْبِيَا موجودة داخل كل فرد فقط تختلف وسائل التعامل معها، شاء المحافظون أم أبوا، كُولُومْبِيَا موجودة وتعكس واقع مجتمعي قائم وجانب حيائي له رواد وداعمين.

كولومبيا تمثلي

تدليلاً على ما سبق، فإن شعار (كُولُومْبِيَا تُمَثِّلِي) الذي رفعه بعض المُعْتَصِمِينَ في ميدان القيادة يتألف من كلمتين فقط، وَلَكِنْ اخْتَزَلَتْ فِيهِ مضامين كثيرة وعديدة. وكأنما أرادوا القول: كُولُومْبِيَا تُمَثِّلِي في إيجاد حرية غائبة أو مُقَيَّدَة؛ تُمَثِّلِي في خروج علي عن كل ما هو موروث من تحفظ وقيود؛ تُمَثِّلِي في أن أكون أنا وليس غيري؛ تُمَثِّلِي في نبذ حياة السرداب؛ تُمَثِّلِي في النظرة الحقيقية للهامش ومكوناته؛ تُمَثِّلِي في إعادة التفكير في نمط التعاملات داخل المجتمع. تُمَثِّلِي لأنها تُنْسِي لبعض الوقت معاناة الفقر والعَوَز؛ تُمَثِّلِي في إيجاد/بحث عن مستقبل غَيْرِ وَاضِحِ المعالم؛ تُمَثِّلِي في يأس وإحباط من واقع سياسي واقتصادي مُدْلِهَمٌ.

يظل المجتمع أينما وُجِدَ يحمل فيما يحمل نظرات وتقديرات مختلفة لما يموج داخله من تفاعلات، مرضية أم منبذة، مقبولة أم مرفوضة. الاختلاف سُنَّة الحياة ووسيلة صريحة لإبراز التَّضَادِّ والمُلْتَفِّ حوله بصورة قد تجعل الأطراف المختلفة تفكر أو تستعير نمط التفكير بنفس الطريقة التي يفكر بها الطرف الآخر، في صورة يمكن أن تفتح باباً أوسع للقبول وإمكانية التعايش بمبدأ لا صَرَرٌ ولا ضَرَارٌ ■

عزة مصطفى، أكاديمية، مهتمة بقضايا الديمقراطية والمجتمع المدني

هاشم صديق إلهام!

نكر صوتك صداك
بطقاتنا الخريفية
وشهق جواى صوت جدول
وناديتك اقيفى معايا
ونتحيل حلم دونك بيتحقق
وعرف صوتك صداك غنيتى
والمساديير.. والطناير
بين مصادات الحروف
والزمان الجاى.. واللحظة الى فاتت
وبين شهقة الارض البكر
ما بين حديثنا ولحظة الفعل الحقيقى
وإنحيازك إنت للشارع البيرشح
غايتو أمشى فى الدرب البطابق
يكسر قناعاتو.. ويفر
تجادلو وتقنعوا ■ ■

إفترضتك لون أساسى
بين خطوط الريشة والخط الاضافى
توارد فى الخواطر
إنفجارك فى الارض
قبلك داك كان غصنك بشر
لحظة طار عصفور من صدرك
واتوكلت عليك وقلت
المارق منك
وأدى الكون مفتاح الحل
وراصد فى اللاوعى سكونو
سارق لحظة انى افكر
مارق منك.. او منى

غالطنى الذمن فيك
ورجع فاضى الكلام مليان
مرقت على المطر حفيان
نشيل كتف الغنا الميل
وقبل خيل دماى واقفة على شريانى
رشحت حلقك لى جزاعات الشدر
واللسة فى رحم القصيد
غيببت رسمك واحتكرتك
منى هسة
ماكان دا ريد
وإنتباهك إنت للشارع البيرجع
فى مسام رملة توقعوا
فيهو خطوة صوت حوافرك
يسكن فى الخلاء مع البدو

يمنح اللوحة إزدواجية القرابة
الجاى من شبكية الزول البشاهد
ونفس ارقام التزاكر
ياسمراء ياواضحة
يوم ماكان احساسك مسرى
رتب فينا إحساس بالالفة
المارق منك.. داخل جرح الورقة
رجع للغابات الزنج الهاربة
المارق منك مارق منك
مواعيد صحوة وحلمو ولونو
المارق منك
أو مت شهيد ■ ■

شهرت على الجفاف وعدك
معاك اتبرجت غيمة
لقيتك والرزاز مدخل
ونتحيل
تشهق
والمنتظر من عودة المدعو المطر
وادابو حسة فى سوق عكاظ
لى الظروف
ياواقفة بين جرح السحاب
كان إحتمال تغيير قوانين حركتك
تانى لى صف بدايتو
وماإتعراف قانون نهايتو
يافرس كل القبيلة تلجموا
مايرضى غير الريح

ويفتح الضو
واكتشفنا الرسمك وانا وبرضو
البيها سافرنا وشهدنا
ماغنيتى.. يوم جيتك صدفة
عرج غيمك.. فينى ومطر
ودوزن عصب الذمن الاشتر
وراسم فوق غناوى الضل
وللعمور العرب العاربة
شارد عصب الورقة وحرفى
شارى يقينك فى ظنى
مارق منك



ضحى محمد، ١٢ مايو ٢٠١٩. اليوم السابع من رمضان. بعض عساكر قوات الدعم السريع بإغلاق شوارع القيادة ردة فعل لتحركات بعض الثوار.



ضحى محمد، ١٣ مايو ٢٠١٩. الثامن من رمضان، دغس عناصر من قوات الدعم السريع مدينياً أثناء محاولتهم لتفكيك حواجز الاعتصام قبل ساعات من المجزرة التي تمت في اليوم نفسه.

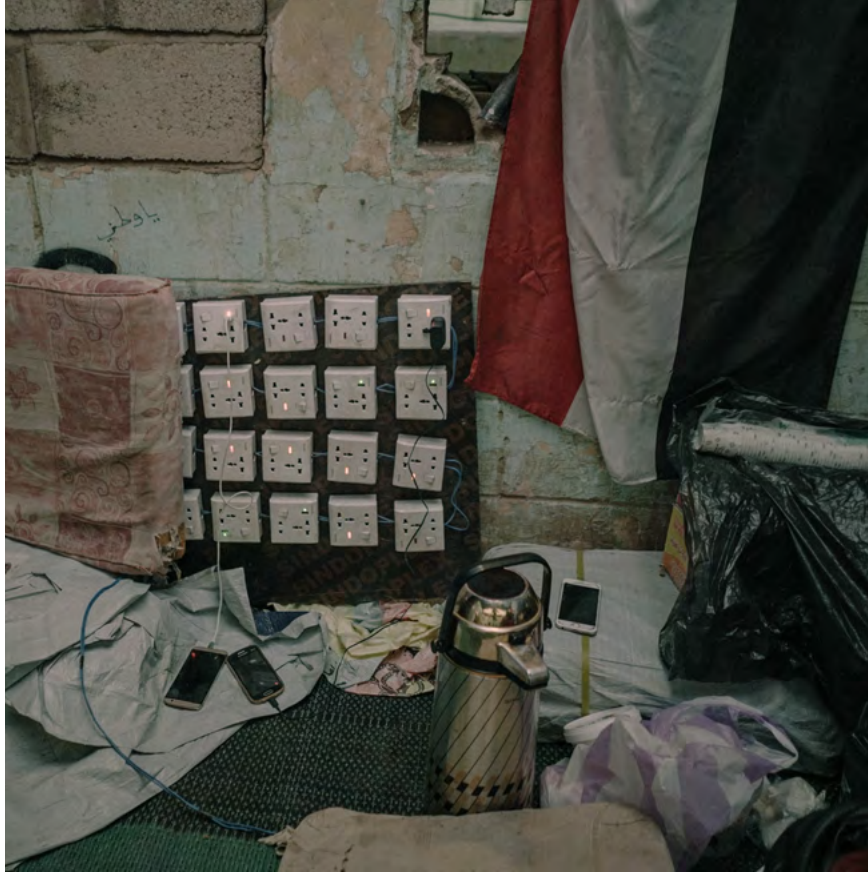




مجاهد ابوالقاسم عوض، ١٨ ابريل ٢٠١٩



علا عثمان . عوضية كوكو، بائعة شاي مشهورة داخل منطقة الاعتصام الشهير
«أصبح من الصعب مواصلة الثورة السلمية بسبب القمع المستمر، مما يجعل
الثورة العنيفة حتمية وتؤدي إلى ثورات لا نهاية لها».



سعد التني، ٢٠ ابريل ٢٠١٩. توفير مقبس للمتظاهرين
لإعادة شحن هواتفهم المحمولة.



سهى بركات، ٢٣ ابريل ٢٠١٩. متظاهرون مناهضون للحكومة على متن قطار قادم من مدينة عطبرة دعماً للاعتصام. يعرض ركاب القطار صور شهداء الثورة.



من رَجَمَ الْفِتْيَانِ تَتَوَلَّى الْأُمُورُ

٨١

أحمد انو، ١١ مايو ٢٠١٩



مُكَوِّنَاتُ لَجْنَةِ الْإِعْلَامِ الْمَرْكَزِيَّةِ

تُمَثِّلُ الإِذَاعَةُ الْإِعْلَامَ الْمَسْمُوعَ وَالْمَرْئِيَّ لِدَوْلَةِ الْاِعْتِصَامِ. وَقَدْ نَشَأَتْ لِتَقْدِيمِ بَرَامِجٍ مِنْ دَاخِلِ سَاحَةِ الْاِعْتِصَامِ، مِثْلُ: الْاَخْبَارِ وَالْاَغَانِي وَالْأَشْعَارِ، بِجَانِبِ الْعَمَلِ الْمَسْرُحِيِّ. وَمِنْ هُنَا يُمَكِّنُ أَنْ تُمَثِّلَ الْإِذَاعَةُ جُزْءًا مِنَ الْإِعْلَامِ الْمَرْئِيِّ، فَهِيَ أحيانًا تُمَثِّلُ الْإِذَاعَةَ وَالتلفزيون في نفس الوقت.

تَبْدُو طَبِيعَةُ الْعَمَلِ فِي الْإِذَاعَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ لْجُمْهُورِيَّةِ الْاِعْتِصَامِ أَكْثَرَ بِيْرُوقْرَاطِيَّةً مُقَارَنَةً مَعَ أَشْكَالِ الْإِعْلَامِ الْاُخْرَى. فَالْبَرَامِجُ مِثْلًا يَتِمُّ التَّرْتِيبُ لَهَا وَتَنْسِيقُهَا وَفْقَ أَوْلِيَايَاتِ الْإِدَارَةِ، كَمَا أَنَّهَا تَقْدَمُ مُتَحَدِّثِينَ مِنْ تَجْمَعِ الْمُهْنِيِّينَ وَقُوَى إِعْلَانِ الْحَرِيَّةِ وَالتغْيِيرِ لِمُخَاطَبَةِ الْجَمَاهِيرِ وَتَمْلِكُهُمْ مَعْلُومَاتٌ عَمَّا يَدُورُ مِنْ مَفَاوِضَاتٍ، وَمَوْقِفِ الْمَجْلِسِ الْعَسْكَرِيِّ، وَمَوْقِفِ قُوَى إِعْلَانِ الْحَرِيَّةِ وَالتغْيِيرِ بِاعْتِبَارِهِمْ مُفَوِّضِينَ وَيُمَثِّلُونَ قَاعِدَةَ جَمَاهِيرِ الْاِعْتِصَامِ.

الشَّاشَةُ أَوْ «تِلْفِزِيُونُ جُمْهُورِيَّةِ الْاِعْتِصَامِ»

بَدَأَتْ فِكْرَةُ الشَّاشَةِ عَنْ طَرِيقِ أَحَدِ الْإِعْلَامِيِّينَ، وَظَهَرَتْ فِي الْبِدَايَةِ لِنَقْلِ مَبَارَاةٍ فِي دُورِي أَبْطَالِ أُوْرُوبَا — بَيْنَ نَادِي بَرِشْلُونَةِ الْإِسْبَانِي وَبَارِيْسِ سَانِ جِيْرْمَانِ الْفَرَنْسِيِّ — حَتَّى لَا يَنْعَزِلَ الْمُعْتَصِمُونَ عَنْ أَخْبَارِ الْعَالَمِ. وَتَطَوَّرَتْ فِكْرَةُ الشَّاشَةِ لِتَقْدَمَ أَغَانِي وَطَنِيَّةٌ مُصَوَّرَةٌ لِدَعْمِ الْحَسِّ الْوَطَنِيِّ وَتَقْدِيمِ بَرَامِجٍ تَوْضِحُ الْعَمَلِ التَّرَاكُمِيَّ لِلثَّوْرَةِ. وَالْمُلَاحَظَةُ أَنَّ عُرُوضَ هَذِهِ الشَّاشَةِ مَرْنَةٌ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ لِعَرْضِ الْمُسْتَجِدَّاتِ عَلَى مِيْدَانِ الْاِعْتِصَامِ.

يَتَكُونُ كَادِرُ الشَّاشَةِ مِنْ إِعْلَامِيِّينَ وَمُهَنْدِسِينَ نَظَرًا لَطَبِيعَةِ الْعَمَلِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ مَوْهَلَاتٍ مُعَيَّنَةً؛ لِذَلِكَ فَهِيَ تَتَمَيَّزُ إِلَى حَدٍّ مَا بِالنَّظْمِ الْبِيْرُوقْرَاطِيِّ.

يُعْتَبَرُ اِعْتِصَامُ الْقِيَادَةَ الْعَامَّةَ نَقْطَةً تَحْوِلُ فِي ثَوْرَةِ كَانُونِ الْاَوَّلِ/دَيْسَمْبَرِ الْمَجِيْدَةِ، الَّتِي أَطَاحَتْ بِنِظَامِ الْإِنْقَاذِ الشَّمُولِيِّ. يَتَنَاوَلُ هَذَا الْفَصْلُ مِيْدَانِ الْاِعْتِصَامِ بِاعْتِبَارِهِ دَوْلَةً مُصَغَّرَةً، أَوْ دَوْلَةً دَاخِلَ دَوْلَةٍ، أَوْ الدَّوْلَةَ الَّتِي يَطْمَحُ إِلَيْهَا الثَّوَارُ. وَبِمَا أَنَّ لِلدَوْلَةِ مَوْسَسَاتَهَا الَّتِي تَدِيرُهَا عَنْ طَرِيقِ مُخْتَلَفِ الْوِزَارَاتِ، سَيَتِمُّ التَّرْكِيزُ هُنَا عَلَى لِحَاظِ الْاِعْتِصَامِ الْمَخْتَلَفَةِ، بِاعْتِبَارِهَا الْأَجْسَامِ أَوْ الْمَوْسَسَاتِ الَّتِي تَدِيرُ جُمْهُورِيَّةَ الْاِعْتِصَامِ.

وَكَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ أَنَّ مَوْسَسَاتِ الدَّوْلَةِ تَتِمُّ إِدَارَتُهَا عِبْرَ نِظَامٍ وَوَفْقَ أُسُسٍ وَمَعَايِيرٍ مُعَيَّنَةٍ، تُسَيَّرُ الْعَمَلُ وَتَدِيرُهُ، وَهَذَا النِّظَامُ هُوَ النِّظَامُ الْبِيْرُوقْرَاطِيِّ. وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ الْبِيْرُوقْرَاطِيَّةَ كَمَفْهُومٍ أَوْ مُصْطَلَحٍ سَيَكُونُ هُوَ الْمِصْطَلَحُ الْمُنَاسِبُ لِمَعْرِفَةِ دَرَجَاتِ الْبِيْرُوقْرَاطِيَّةِ دَاخِلَ دَوْلَةِ الْاِعْتِصَامِ، وَذَلِكَ عِبْرَ دَرَاْسَةِ وَفْهَمِ طَبِيعَةِ عَمَلِ اللَّجَانِ الْمَخْتَلَفَةِ مِثْلُ: لِحَاظَةِ الْأَطْبَاءِ الْمَرْكَزِيَّةِ، وَلِحَاظَةِ الْإِعْلَامِ، وَلِحَاظَةِ الْخِدْمَاتِ، وَاللِّجَانِ التَّنْسِيقِيَّةِ. وَسَيَتِمُّ مَنَاقَشَةُ أَسْبَابِ نَشْأَةِ كُلِّ لِحَاظَةٍ وَأَهْدَافُهَا بِالإِضَافَةِ لَطَبِيعَةِ الْعَمَلِ دَاخِلُهَا وَعِلَاقَتُهَا بِاللِّجَانِ الْاُخْرَى.

لَجْنَةُ الْإِعْلَامِ أَوْ «وِزَارَةُ إِعْلَامِ دَوْلَةِ الْاِعْتِصَامِ»

قَدْ يَبْدُو لِلدَّخَالِ لِمِيْدَانِ الْاِعْتِصَامِ أَنَّ هُنَاكَ لِحَاظَةً مَرْكَزِيَّةً وَاحِدَةً تَعْمَلُ بِتَنْسِيقٍ تَحْتَ إِدَارَةِ مَرْكَزِيَّةٍ تُنْظَمُ وَتَدِيرُ تَقْسِيمَ الْعَمَلِ وَالْأَدْوَارِ، بَيْدُ أَنَّ الْعَمَلَ الْمِيْدَانِيَّ يَكْشِفُ وَجُودَ لِحَاظٍ إِعْلَامِيَّةٍ أُخْرَى، بَعْضُهَا يَدِيرُ بَرَامِجَهُ حَسَبِ الْمُسْتَجِدَّاتِ فِي مِيْدَانِ الْاِعْتِصَامِ. كَمَا تَعْمَلُ هَذِهِ اللَّجَانُ بِمَعْزَلٍ أَوْ بِشَكْلِ مُسْتَقِلٍّ عَنْ لِحَاظَةِ الْإِعْلَامِ الْمَرْكَزِيَّةِ.

١ معظم البيانات التي تم جمعها هنا هي نتيجة المقابلات والملاحظة التشاركية.

كما توجد أشكال إعلامية أخرى مثل: البوسترات والمُلصقات والمَقْصُوصَات التي تُوزَّعُ في ساحة الاعتصام بغرض نُشْرِ الوُعي. ويتداخل العمل في هذا النوع من الإعلام، فتجد مختلف اللجان قد يكون لها إعلام يستخدم مثل هذه الوسائل مثل: لجنة الأطباء المركزية عند التحذير من أخذ الأدوية من الأشخاص. وقد تُسْتَخْدَمُ هذه الوسيلة بواسطة لجان إعلام فرعية تعمل بِمَعَزِلٍ عن لجنة الإعلام المركزية أو عن طريق أفراد.

إن طبيعة عمل الإعلام إلى حَدٍّ ما وبصورة عامة في ساحة الاعتصام كان مُضَادًّا ومُعَايِرًا لشكل الإعلام، الذي كان سَائِدًا في الأجهزة الإعلامية في النظام البائد، فهو يمثل كافة أو أغلب الفئات الموجودة في ساحة الاعتصام، عن طريق تقديم البرامج وإفساح المجال لكل شخص أو منطقة للتعبير عن نفسها من خلال منابر مناطقية مثلاً.

لَجْنَةُ الْأَطْبَاءِ الْمَرْكَزِيَّةِ أَوْ «وَرَاةَ الصَّحَّةِ»

يوجد بساحة الاعتصام ثلاث عيادات طبية وعيادتان للصحة النفسية. تُعْتَبَرُ نشأة هذه اللجان الطبية أو العيادات حديثة مقارنة مع لجنة التأمين والخدمات والإعلام. فلقد ارتبطت نشأة معظمها بأحداث يوم الأربعاء العاشر من نيسان/أبريل، عندما هاجمت قوة من الأمن المعتصمين، أصيب على إثرها عَدَدٌ من المعتصمين؛ فكانت نشأة العيادات كضرورة مُلِحَّةٍ لعلاج وإسعاف المصابين. يقول أحد الأطباء أثناء مقابلة: «أنا لو داير أتكلم عن عيادتي دي هنا: أنشئت صبيحة يوم الأربعاء زاتو الكان فيهو الضربة». ومن ثم تحولت تدريجياً لتصبح عيادات تستقبل أغلب الحالات وتقدم الخدمة الصحية مجاناً، كما أن العمل فيها لا يعتمد على علاقات شخصية. يقول أحد الأطباء: «الناس الشغالين معاي ديل أنا عرفتهم هنا في العيادة دي».

تعمل كافة هذه العيادات تحت إشراف وإدارة لجنة الأطباء المركزية، ولكن هذا الإشراف كان لاحقاً بعد أن نشأت هذه العيادات، وظهرت الحاجة لإدارة وتنظيم تقديم الخدمة الصحية والمُعَدَّات والأدوية اللازمة عن طريق خبراء في المجال الطبي.

الْعِيَادَاتُ النَّفْسِيَّةُ

بدأت فكرة تقديم الخدمة النَّفْسِيَّةِ بمبادرة من طلاب وخريجي عِلْمِ النَّفْسِ بعدد من الجامعات لتقديم خدمة نَفْسِيَّةٍ لأسر الشهداء وضحايا التعذيب والاعتقالات. ويتم تدريب المتطوعين لتقديم الخدمة بشكل مدروس. ومن ثَمَّ تطورت الفكرة لتعمل داخل ساحة الاعتصام عبر عيادتين للصحة النَّفْسِيَّةِ مُتَاحَتَيْنِ للجميع.

لِجَانُ الْخِدْمَاتِ

من الصَّعْبِ بِمَكَانٍ حصر وتحديد لجان الخدمات. وقد يرتبط ذلك بطبيعة العمل في تقديم الخدمات بِجَانِبٍ تَوَسَّعَ ميدان الاعتصام في أيامه الأخيرة. وقد تبع ذلك شكلاً من التنظيم غَيْرَ الْمُخَطَّطِ وفقاً لمتطلبات الاعتصام ومستجدات المرحلة. يمكن تقسيم الفاعلين في تقديم الخدمات إلى ثلاثة: منظمات مجتمع مدني تطوعية، ومتطوعين أفراد، والباعة سواء كانوا صغار المتجولين أو الدكاكين أو المطاعم التي كانت موجودة قبل قيام الاعتصام. وتختلف درجة إسهام ودور كل فاعل من الفاعلين حسب مراحل الاعتصام التي يمكن تقسيمها للفترة ما قبل سقوط نظام الإنقاذ والفترة ما بعد السقوط.

مُنَظَّمَاتُ الْمُجْتَمَعِ الْمَدَنِيِّ وَالْعَمَلِ الطَّوْعِيِّ

كانت منظمات المجتمع المدني في بداية الاعتصام هي الداعم الأول في تقديم مياه الشرب المعدنية، ولكن لم تكن تعمل تحت اسم منظمة لدواعي أمنية، بحكم تجربتها مع النظام الذي كان يضع

العراقيل أمامها لتساعد في تقديم خدمة هي من صميم واجبات الحكومة. فكان الاعتصام محفزاً ويخدم مصالح هذه المنظمات في تغيير النظام، حتى تقوم بعملها الطبيعي في ظل حكومة مدنية وهو الضغط على الحكومة.

قد يبدو لَوْهَلَةٌ أن شركات المياه هي التي كانت تقدم المياه المعدنية، ولكن خلف الكواليس كانت تعمل منظمات المجتمع المدني صاحبة الخبرة في العمل الطوعي.

خلال الأيام الأولى كان تقديم المياه غَيْرَ مُنَظَّمٍ ومُكَلَّفٍ جداً، وذلك حتى بداية نهاية الأسبوع الثاني للاعتصام، مثال لذلك: تجربة إحدى منظمات العمل الطوعي، ففي أول أسبوعين كانت تقدم نحو 1100 بكت مياه معدنية، يتم توزيعها عبر الأفراد والسيارات داخل منطقة الاعتصام. وعلى الرغم من كلفتها العالية، ساهم مُمَوِّلُونَ للعمل الطوعي في استمرارية تقديم مياه الشرب. ومع مرور الوقت وازدياد أعداد المعتصمين وانخفاض دعم المانحين، أصبح تقديم الخدمة أكثرَ تنظيمًا وأقلَّ تكلِّفًا وذلك عبر مراحل هي:

أ — استخدام مياه التناكر المفلتره بدلاً عن المياه المعدنية (موية صحة)، وكانت أرخص سعراً من المياه المعدنية وكميتها أكبر. وفي هذا الصدد، يجدر الإشارة إلى أن الشركات كانت تُخَفِّضُ أسعار التناكر للمتطوعين.

ب — استخدام المياه العادية غير المفلتره بدلاً عن مياه التناكر المفلتره والتي كانت الأقل سعراً؛ مما ساهم في توفير المياه بكميات كبيرة وبسعر أقل.

تَغَيَّرَ شكل تنظيم تقديم المياه مع حلول شهر رمضان، وتم إضافة تقديم العصائر، فأصبحت هنالك العديد من نقاط تقديم المياه والعصائر، وهي أقرب للامركزية، حيث تتوزع هذه النقاط على امتداد ساحة وشوارع الاعتصام. وكانت

قنوات الدعم التي تُسَيِّرُ هذه النقاط متنوعة، فبجانب المانحين والداعمين للعمل الطوعي برز الدعم الشعبي وبعض الأجسام والأفراد الخَيْرِينَ.

كما هو الحال في تقديم المياه، فإن عمل لجان الخدمات قطاع الطعام ارتبط بما لا يَدْعُ مَجَالاً لِلشَّكِّ بالمنظمات الناشطة في العمل الطوعي قبل الاعتصام، مثل: (مجددون) و(شارع النجدة) وغيرها من المنظمات. وبجانب المنظمات لعبت لجان مقاومة الأحياء دوراً فعالاً في تقديم الطعام للمعتصمين. وتتشابه قنوات الدعم في لجان مقاومة الأحياء، ويأتي أغلبها عبر الجهد الشعبي من أبناء الحي المقيمين في السودان والمغتربين بدول المهجر.

وهي لجان كثيرة تعتمد في تنظيمها على علاقات اجتماعية سابقة للاعتصام، مثل: علاقات الجيرة والصدقات والزمالة.. إلخ. وهذا يَظْهَرُ بشكل لا يمكن تفاديه في مطابخ لجان المقاومة في مختلف حَيَمَ ميدان الاعتصام، أو مطبخ الجامعة الذي يعتمد أيضاً على العلاقات القائمة بين طلاب وخَرِيجِي الجامعة بالتعاون مع متطوعين.

دَاعِمُونَ: أَسَرُّ وَأَفْرَادٌ

كان لهم دور مهم جداً في تقديم الطعام في الأيام الأولى ثم قل تدريجياً نسبة لزيادة عدد المعتصمين، ودخول الباعة المُتَجَوِّلِينَ، الذين ظهروا في نهاية الأسبوع الثاني للاعتصام، بعد أن كانوا ممنوعين من الدخول في الأيام الأولى.

فيما يتعلق بالقطاع الخاص (الباعة المُتَجَوِّلِينَ والْبَقَالَاتِ والمطاعم)، كانت أغلب البَقَالَاتِ والمطاعم موجودة قبل الاعتصام، فهي تقدم الخدمات سواء كان طعاماً أو شرباً أو أي مستلزمات أخرى، كما تغطي العجز الذي يواجهه العمل التطوعي في تقديم الخدمات.

أما الباعة المُتَجَوِّلُونَ فكان دخولهم لميدان الاعتصام في بداية نهاية الأسبوع الثاني للاعتصام، حيث كان يُمنَع دخولهم، وكانوا يعملون خارج حدود الاعتصام. مع بداية الأسبوع الثالث للاعتصام بدأ الباعة المُتَجَوِّلُونَ في ممارسة أنشطتهم في بيع الطعام والشراب والمكسرات، وتزايدت أعدادهم تدريجيًا مع تزايد أعداد المعتصمين وطول مدة الاعتصام، حتى تحولت بعض شوارع الاعتصام الي ما يشبه الأسواق الصغيرة.

اللَّجْنَةُ التَّنْسِيقِيَّةُ

ظهرت هذه اللجنة حديثًا مقارنة مع اللجان الأخرى، وهي وزارة تخطيط دولة الاعتصام وتتمثل مهمتها في حصر وتنسيق إنشاء الخيم بساحة الاعتصام، حتى لا تمثل منطقة أو لجنة مقاومة نفسها مرتين؛ وبالتالي تحد من تمثيل لجنة مقاومة أو منطقة أخرى. وعلى امتداد ساحة الاعتصام من الصعب أن تجد أكثر من خيمة للجنة مقاومة واحدة أو منطقة من مناطق السودان ■

صدام فارس محمد أحمد النور











مجاهد ابوالقاسم عوض، ١٠ مايو ٢٠١٩



وللمرة الأولى أيضاً، تمكنت الجماعات «المتمرتدة» مثل حركة جيش تحرير السودان، أو حركة العدل والمساواة السودانية من التعبير عن نفسها بحرية، حيث نَصَبَتْ هذه الحركة الأخيرة خيمة علقت عليها صوراً كبيرة لمؤسسيها التاريخي خليل إبراهيم. وبعد أن تَوَقَّفَتْ هُنَيْهَةً في هذه الخيمة لتناول الشاي، والدردشة مع شاغليها، والاستماع إلى خطاباتهم بعد حلول الظلام، لا يساورني أدنى شك في الرسالة الواضحة التي يحاولون إيصالها ومفادها: «ليس من الإنصاف تصنيف هذه الحركة (حركة العدل والمساواة) كحركة دارفورية؛ نحن لا نسميها حركة دارفورية، بل حركة تحرر وطني.. إن قوى القمع والطغيان هي التي أَلْصَقَتْ بنا نَعْتَ «دارفوري» بغية ازدراء حركتنا.. فكل من يصفنا بالدارفوريين يهيننا دون أن يعي أو يدرك ما يفعله. نحن لسنا حركة دارفورية، بل نحن حركة تحرير.. نحن سودانيون»^١.

كل البلد دارفور

وعلى قارعة شارع آخر، نجد «ركن نقاش» آخر يديره «المتطوعون من أجل التغيير» وهم كغيرهم ينظمون كل مساء برنامجاً تتوالى فيه الخطابات السياسية حول مجريات الأمور في السودان. ويشدد أحد قادته، خالد عمر، الذي ترجع أصوله إلى دارفور، على ضرورة بناء سودان جديد «مختلف عن الماضي»، ولكنه غير مُقَسَّم إلى عدة دول مثل جنوب السودان (في إشارة لما حدث أثناء انفصال جنوب السودان). والرسالة التي يجسدها مفادها «انطلاقة جديدة» نحو «سودان جديد بدون حروب. سودان جديد يسع الجميع، بدون تمييز بين مواطنيه. سودان جديد بدون أي تفرقة أو إقصاء على أساس الدين. سودان جديد بدون تمييز على أساس السن، أو لون البشرة»^٢.

١ مُقْتَطَف من كلمة ألقاها ممثل عن حركة العدل والمساواة، اعتصام الخرطوم، 10 أيار/مايو 2019.

٢ مقابلة مع خالد عمر، اعتصام الخرطوم، 6 أيار/مايو 2019.

إن مسألة الجماعات المُهْمَّشَةِ تضطرننا إلى مُجَابَهَةِ حقيقة أقل رومانسية في هذه الحقبة الثورية. ويمكننا بالطبع الإشارة إلى وضع المرأة، ولكن أيضاً إلى الفئات المُهْمَّشَةِ اقتصادياً وسياسياً في بعض الولايات (دارفور، والنيل الأزرق، وجنوب كردفان)، أو في ضواحي العاصمة (مثل أحياء دار السلام، ومايو، والحاج يوسف..). وقد سمعنا بلا شك هتافات شهيرة خلال التظاهرات مثل «كل البلد دارفور!». كما كانت الخيام التي نُصِّبَتْ في ساحة الاعتصام تمثل أيضاً عموم البلاد، من الشمال إلى الجنوب، ومن الشرق إلى الغرب. وأما المجموعات التي تُسَمَّى نفسها بفخر «القوات المُهْمَّشَةِ»، كما تشير الرايات واللافتات المعلقة فوق خيامها المتجمعة ناحية شارع البلدية، أَلَمْ تتوفر لها المنصات لعزف موسيقاها، والسماح للنشطاء، والتمتردين، والمثقفين من دارفور، وجبال النوبة، والنيل الأزرق بالَجْهَرُ بآرائهم وأفكارهم في قلب العاصمة الخرطوم؟ بَيِّدَ أَنَّهُ خَلَفَ هذه الفرصة التاريخية ومشاعر الوحدة الوطنية، لا تزال هناك هياكل تاريخية تُدِيمُ أنماط التسلط والهيمنة بين مختلف الأصول العرقية، والإقليمية، والطبقية، والجنسانية.

يسمح التجوال بضع خطوات فقط داخل محيط الاعتصام بعبور أجواء جَدِّ متنوعة. لقد تطرقنا في الصفحات السابقة للحديث عن اللوحات الجدارية، والعروض الغنائية، والصلوات، والمراكز الصحية، أو حتى مكتبة الاعتصام الشهيرة. كما يمكن لأولئك الذين يَلْجُؤْنَ ميدان الاعتصام عَبْرَ نقطة تفتيش شارع البلدية مشاهدة نوع مختلف تماماً من الملتصقات، لا سيما اللافتات الضخمة التي تُظْهَرُ صوراً ملطخة بالدماء لضحايا الحروب في دارفور وجبال النوبة. وللمرة الأولى يتيح هذا الاعتصام الفريد من نوعه لضحايا الحروب فيما يُسَمَّى المناطق «الهامشيّة» القدوم إلى قلب العاصمة لكشف معاناة العقود الأخيرة، كما لو كانت تسعى نهائياً لِدُخْصِ الفكرة القائلة «لم نكن نعرف» التي لا تزال تتردد أحياناً في الخرطوم.

وبينما كنا نتبادل الأفكار داخل خيمة، أتى «أوباما»، وهو أيضًا شاب من دارفور، لمساعدتي بشكل تلقائي، ولعب دور المترجم. وبعد عدة أشهر، خلال إحدى مقابلاتنا، أَسَرَّ لي «أوباما» بتجربته في الاعتصام. كان قد أُعْتِقِل أثناء مشاركته في مظاهرة بالخرطوم في التاسع من كانون الثاني/يناير 2019، وبينما كان يرزح في السجن منذ عدة أشهر، اندلع الاعتصام في السادس من نيسان/أبريل. وبمجرد أن أُطْلِقَ سراحه في الخامس عشر من نيسان/أبريل، قرر التوجه إلى هناك على الفور. وقد وصف الاعتصام بأنه مكان غير مسبوق، حيث تَمَكَّن للمرة الأولى من رؤية «كافة مناطق السودان مجتمعة: كردفان، ودارفور، وشرق السودان، والخرطوم، وأم درمان، وبحري.. إلخ. كان الجميع متواجد هناك». ويتابع «أوباما» متأثرًا: «بالنسبة لي، يمثل اعتصام القيادة تعايش التنوع السوداني..»

كل هؤلاء الناس الذين قدموا من دارفور، وكردفان، والجزيرة، وحتى من الشمال، وحتى من المناطق المُهْمَّشَة في الخرطوم، ومايو، والحاج يوسف، رفعوا جميعًا علم الثورة، وهدرت أصواتهم بهتاف الحرية والسلام والعدالة». ويتذكر «أوباما» أول مرة دخل فيها مقر الاعتصام عَبْرَ الحواجز والمتاريس.

وعندما سأله الشباب المسؤولون عن تأمين الاعتصام لماذا أتى خاوي اليدين؟ أجابهم «أوباما» بأنه قادم لتوه من السجن حيث كان مُخْتَجَرًا منذ ثلاثة أشهر. ثم يتذكر اندفاع الشباب فجأة لحمله على أكتافهم وهم يتصايحون بأنهم التقوا ببطل لا يَشِقُّ له غُبَارٌ، ولم يكن أي شيء ممكنًا بدون تضحياته. ثم تَجَمَّعَ حَشْدٌ من المحتجين، وفي ذلك اليوم، «بدأنا نتحدث لأكثر من ساعة»، «حتى أن بعضهم أجهدش بالبكاء متأثرًا، وأنا أيضًا، كما تعلم، انخرطت باكيا».

جاء محمد لمقابلي، وهو المسئول عن استقبال الغرباء على شاكلي ممن يترددون على ساحة الاعتصام. وهو ينحدر من معسكر للنازحين في دارفور، قَدِمَ إلى الخرطوم للمشاركة في الثورة منذ كانون الأول/ديسمبر، ولم يبارح الاعتصام منذ اليوم الأول. وعاش محمد الليالي الأولى عندما كانت الميليشيات «تأتي لقتلهم من جميع الجهات»^٢. إن التواجد في الخرطوم، بالنسبة له، يندرج في إطار سلسلة المعارك السابقة ضد النظام الديكتاتوري. يشارك محمد في تأمين موقع الاعتصام، وهو مسئول في المقام الأول عن التحقق من وجود أعضاء تابعين لحزب المؤتمر الوطني يُشتبه في تردددهم على الاعتصام من أجل التجسس وجمع المعلومات.

وقد التقينته خلال إحدى دورياته الليلية. وقد أَسَرَّ لي في وقت لاحق بإحدى ذكرياته التي لا تُنسى عن الاعتصام: «إنه لحدث تاريخي، لن يمكنني قَط نسيانه، أو محوه من ذاكرتي. بالنسبة للكُتَّاب أو المؤرخين، يمكنهم تدوين هذا: كانت مدينة ظهرت ثم اختفت.. كانت مدينة ظهرت ثم اختفت.. كانت مدينة ظهرت ثم اختفت..»، راح يكرر القول بصوت أعلى وأعلى، وهو يميل برفق للتأكد من تسجيل صوته جيدًا بواسطة مسجل الصوت الموضوع على الطاولة^٣. ثم راح يتذكر: «كنا نفعل ما يفعله الناس في كافة أنحاء العالم، نغني، ونصرخ، ونلعب، ونرقص..».

في الوقت الراهن، يخالج العديد من هؤلاء الشباب الدارفوريين مشاعر مختلطة حيال الثورة، بل أحاسيس مَشُوبَة بالمرارة والأسى. لا سيما وأنها تعتبر مؤشرًا على الانقسامات والفجوة التي لا تزال قائمة بين نَحْبِ المركز وأولئك الذين يُعَرَّفُونَ أنفسهم على أنهم مُهْمَّشُونَ. وبالتالي يُنظر إلى قوى الحرية والتغيير وإلى تجمع المهنيين السودانيين بريبة في بعض الأحيان

٢ مقابلة في الخرطوم، 29 أيلول/سبتمبر 2019.

٣ مقابلة مع محمد، الخرطوم، 29 أيلول/سبتمبر 2019.

١ تم جمع المُقْتَضَطَات التالية خلال مقابلة في الخرطوم، 9 أيلول/سبتمبر 2019.

بسبب «تخليهما» عن المتظاهرين، ولجئوهما إلى التفاوض مع السلطات العسكرية المسؤولة عن ارتكاب العديد من المجازر خلال العقود الأخيرة.

مدينة قامت واختفت فيما بعد

وفي هذا الصدد، إذا كان تواجد شباب الأحياء المُهمَّشة في ميدان الاعتصام يبعث على الحماس، لا ينبغي إغفال حقيقة تدني مستوى التعبئة والمشاركة لهذه الضواحي الهامشية لمدينة الخرطوم خلال الأشهر الأولى من الثورة. وتُعزى هذه التعبئة الضعيفة جزئيًا إلى ضعف وهشاشة هؤلاء السكان، ولكن أيضًا إلى وجود مشاعر ناقمة وغُصة موجعة في القلوب.

إذ يتساءل البعض: «أين كانوا هؤلاء عندما كنا نحن نتعرض للفظائع والمجازر؟»، مذكرين بأن عدد القتلى في دارفور بلغ مئات الآلاف، وأن أهالي الخرطوم لم يَهْتَبُوا حينذاك لنجدتهم. بينما يعتقد آخرون بأن قوى الحرية والتغيير ترتكب نفس الأخطاء التي ارتكبتها في الماضي، وتتخلى من جديد عن المناطق المُهمَّشة، وتتركها وحدها تجابه مصيرها. كما يتذكر محمد: «لقد تشددوا وغنوا «كلنا دارفور!»، ولكنهم ضللونا فحسب واحتالوا علينا. ما هذه المخادعة؟».

ومن الجدير بالذكر أن أكثر رموز الثورة التي حَظِيَتْ بتغطية إعلامية مكثفة ترتبط بشكل رئيسي بوادي النيل، أكثر مما ترتبط بالمناطق الأخرى. كما أن التذكير بأصول هذه الثورة يشكل مثالًا بليغًا في هذا المضمار. فبينما ذكرت أغلب وسائل الإعلام أن مدينة عطبرة، الواقعة في شمال الخرطوم، كانت مهدًا لاندلاع الثورة، فإن خطابات الجماعات المُهمَّشة تشير إلى أن إرهابات الثورة كانت قد بدأت عام 2018 في ولاية دارفور، وخاصة في عاصمتها الفاشر، ثم امتدت إلى مدينة الدمازين الواقعة على الضفة الغربية لنهر النيل الأزرق، قبل أن تتسع رقعتها لِتُعْمَ أرجاء عطبرة ثم الخرطوم.

وفي نفس السياق، أصبح القطار الذي قدم من عطبرة للانضمام إلى الاعتصام، وبالتالي ربط تاريخ الحركة الاجتماعية لهذه المدينة بالعاصمة، أصبح واحدًا من أقوى رموز الثورة، وأوسعها ذيوغًا، بينما لم تحظ القافلة الكبيرة للحافلات التي قدمت من دارفور للانضمام إلى الاعتصام بهكذا تغطية إعلامية، على الرغم من قوتها الرمزية. فمن هم يا ترى هؤلاء الدارفوريين الذين قطعوا ألف وسبعمائة كيلومترًا على الطريق من أجل دعم الثورة؟ وماذا حدث لهم بعد الثالث من حزيران/يونيو؟

بوسعنا أيضًا الإشارة إلى أيقونة الثورة، آلاء صلاح، التي صدحت بقصيدة شعرية شهيرة تُندد بالإسلاميين. وكما ذكر أحد سكان دارفور الذي التقينته لاحقًا، مشيرًا ضمنيًا إلى هذه المرأة الشابة: «إذا جاءت امرأة، نعم هاهنا، انبرى الجميع في التقاط مقاطع فيديو لها، لأنها حسنة، وجذابة، وبيضاء البشرة.. إنهم لا يأبهون بالدارفوريين.. هناك عنصرية وتمييز في كل مكان..». وإن كان صحيحًا أن العديد من المعلقين قد احتفوا بإحياء صورة الكنداكَة واستحضارها من «تاريخ السودان»، فالصحيح أيضًا أن جميع النساء لا يشعرن بالتماهي مع هذا الرمز التاريخي. وفي هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى شهادة جد مثيرة للاهتمام لامرأة شابة تم جمعها خلال مداخلة في الرابع من شهر أيار/مايو 2019 في الاعتصام؛ إذ تشكو «رويدة» من التعليقات المبغضة للنساء التي يوجهها لها الرجال عندما تأتي للاعتصام أو تغادره، من شاكلة «عودي إلى المنزل كي لا يفضب والدك!». وفي نفس الوقت، عندما تتواجد داخل الاعتصام، يناديها الناس في كثير من الأحيان بلقب «كنداكَة». تشعر «رويدة» بالضيق والنفور من هذا الأمر لدرجة أنها تتوقف عن السير لتؤكد أنها ليست «كنداكَة». «إنها كلمة فقدت معناها، وتبدو الآن حمقاء وسخيفة. أنا لا أشعر بالارتياح تجاه ذلك؛ لذا أتوقف

١ حول هذا الموضوع، راجع مقال عزة أحمد عبد العزيز
«Sudan revolution : How women's participation reveals
societal fissures», *Middle East Eye*, 4 juillet 2019.

عند سماعها لأقول إنني لست كنداكّة على الإطلاق، بل مجرد فتاة عادية جدًّا شاركت في التظاهرات، وهي متواجدة الآن في ميدان الاعتصام. كلا، أنا لست كنداكّة».

اصل الثورة

وأخيرًا، تُبرزُ شهادات أخرى تم جمعها خلال الاعتصام أهمية التقاطع بين عدة مسارات من الإقصاء والتهميش: التهميش الإقليمي، والاجتماعي-الاقتصادي، والسياسي، والتهميش القائم على أساس نوع الجنس. إن مداخلات الناشطات النسويات (حليمة إسحاق كونه، وأم سلامة، وصفاء العجيب) في التاسع والعشرين من نيسان/أبريل 2019 في شارع البلدية، توضح تمامًا هذه المسارات المتقاطعة.

فبعد تحية «النساء السودانيات، والنساء المُهمَّشات على وجه التحديد»، تشير حليمة إسحاق إلى خصوصية كفاح النساء اللواتي يعشن في مناطق تنهشها الصراعات. كما تشير أيضًا، مثل بقية المشاركات في ركن النقاش المُخصَّص للنساء من أصول النوبة، إلى مشكلة التمثيل المنقوص للنساء داخل المؤسسات المدنية التي من المفترض أن تمثلها في المرحلة الانتقالية السياسية.

خلف صورة السودان الموحد والمتناغم التي تعكسها فيما يبدو تجربة الاعتصام، فإن الواقع يظل أكثر تعقيدًا. وهناك العديد من التحديات التي تواجه السودان خلال المرحلة الانتقالية الحالية، وفي مقدمتها العلاقات الهيكلية للهيمنة القائمة على أساس نوع الجنس، أو الطبقة، أو الأصول الاجتماعية. ومع ذلك، فإن السلام الذي ساد الاعتصام — تلك المدينة الطوباوية — يمكن أن يمثل مصدرًا رائعًا للإلهام، وهو شرط لا غنى عنه لشحن الابتكار والتفكير المتعمق حول طريقة جديدة للعيش معًا في سلام ووثام ■

جان-نيكولا باك







سهى بركات، ٢٣ ابريل ٢٠١٩، قطار عطبرة.





سهى بركات، ٢٣ ابريل ٢٠١٩، قطار عطبرة.



سعد التقي، ١٧ ابريل ٢٠١٩. بعض المتظاهرون يأخذون قسطاً من الراحة داخل مسجد جامعة الخرطوم.

فجأة وبشكل غير مُتعمّد. كما أن مقطع الفيديو الذي انتشر في كافة أنحاء العالم كالنار في الهشيم يخفي آلاف الحالات المماثلة الأخرى. إن المكانة التي تقلدتها المرأة في الثورة ترقى إلى مستوى الاضطهاد الذي عانتها في ظل النظام البائد.

لدى وصولي إلى ساحة الاعتصام في الخرطوم، استرعى انتباهي على الفور الاختلاط بين الجنسين، وعدم التحرش بالنساء. ونجد في صفوف النساء موسيقيات، ورسّامات، وناشطات نسويات، ومُعلّمات، وطالبات، ومواطنات عاديّات. ومنهن من تمتهن بيع الشاي في الهواء الطلق داخل أكشاك صغيرة متجولة، وأخرى يُنظمن ورش عمل للأطفال، أو يشاركن في الحفلات الموسيقية والمناقشات السياسية. وتُخبرني شابات صغيرات مثل «مها» أنهن لم يعدن إلى منازلهن منذ مسيرة السادس من شهر نيسان/أبريل. وهذه هي المرة الأولى التي يتحررن فيها من سطوة العائلة؛ إذ تتيح التجربة الثورية أيضاً فرصة لانعتاق النساء، وتحقيق ذواتهن، دون الخضوع للقواعد الاجتماعية الصارمة التي كانت سارية حتى ذلك الحين. هذا الأمر يُشكل سابقة، حتى وإن كان وضعاً استثنائياً ليس مقدراً له الاستمرار. وقد شهدت الثورة عقد عدد من الزيجات الشابة، وميلاد قصص عشق غرامية تخالف الزيجات التقليدية المُرتبة من قِبَل العائلات.

في عام 2011، انتفضت دول مثل تونس، ومصر، وليبيا، وسوريا ضد الديكتاتوريات العسكرية أو الأنظمة البوليسية القمعية. وبينما كان حزب النهضة الإسلامي في تونس وجماعة الإخوان المسلمين في مصر يبنيان الأمل لدى بعض السكان في إرساء حوكمة دينية رشيدة لصالح فئة من السكان، رفض الثوار السودانيون بأغلبية ساحقة توظيف الدين لأغراض سياسية. فبعد معاناة امتدت لثلاثة عقود من الديكتاتورية العسكرية المدعومة بتطبيق صارم للشريعة الإسلامية، انتفض الثوار ضد السُلطوية العسكرية وضد السُلطوية الدينية على حدّ سَوَاءٍ. لقد شهد السودانيون فداحة الأضرار التي خلفها النظام السياسي

» حرقونا باسم الدين

كتلونا باسم الدين

عقرونا باسم الدين

الدين بريء يمة

الدين بقول تمرق..

تمرق تقيف في الضد.. وتواجه الحكام..

الطلقة ما بتحرق..

بيحرق سكات.. الزول»

إمرأة شابة، مرتدية لباساً أبيض، تعتلي سقف سيارة، تأسر قلوب حشود المتظاهرين وهي تصدح بهذه الأبيات الشعرية.. وقد انتشر هذا المقطع الفيديو المُسجّل على منصات التواصل الاجتماعي، وأحدث صدّ واسعاً في كافة أنحاء العالم، لدرجة أن هذه الفتاة المتدثرة في ثوب تقليدي صارت أيقونة الثورة السودانية. آلاء صلاح، ذات الاثنين وعشرين ربيعاً، تدرس في كلية الهندسة قسم المعمار، ومثل معظم السودانيّين، تحفظ قصائد أزهرى محمد علي عن ظهر قلب. ففي السودان يقف الشعراء في طليعة الحركات الاحتجاجية. وفي هذه الأبيات، يستنكر الشاعر أزهرى زيف وخداع الإسلام السياسي، أو التلاعب بالدين والمتاجرة به من أجل شرعنة الرقابة المجتمعية والحكم التعسفي اللذين يُمارسان يومياً على المواطنين. وقد كانت النساء الضحايا الأوائل لسياسة التحكم في أجسادهن هذه. وكن يخضعن لِقَوَامَةِ الأب، أو الأخ الأكبر، أو الزوج. وكان بإمكان شرطة الأمن المجتمعي أو ما يُعرف بشرطة النظام العام أن تُوقفهنّ في أي وقت للتحقق من عدم ارتدائهن لهِنْدَامِ فاضحٍ أو خادشٍ للحياء.

منذ اندلاع شرارة التظاهرات الأولى في كانون الأول/ديسمبر 2019، نزلت النساء إلى الشوارع للمطالبة بحقوقهن. آلاء صلاح هي واحدة من أولئك النسوة اللواتي انطلقن لاستعادة السيطرة على الفضاء الاجتماعي. وهي أبعد ما تكون عن كونها حالة استثنائية وفريدة من نوعها. وقد أصبحت هذه الطالبة رمزاً

القائم على الأصولية الإسلامية. وعلي اللوحات الإعلانية العملاقة المثبتة أمام وزارة الدفاع، عُلّق المتظاهرون الرموز المرتبطة بالنظام القديم. ومن بين تلك الرموز التي راحت تتأرجح في الهواء أمام أعين الناظرين نجد الدراجة النارية التي كان يمتطيها عملاء الشرطة السرية لملاحقة المعارضين السياسيين، ومراقبة وترويع المواطنين؛ فضلاً عن مُعدّات الجنود: حذاء بوت طويل الرقبة، وبندقية، وزِي عسكري. وفي وسط أدوات القمع هذه، قام الثوار أيضاً بتعليق كوز مصنوع من الصفيح الذي صار كُنيّة للمتطرفين الدينيين في النظام القديم. في مطلع التسعينات، أعلن حسن الترابي، وهو زعيم ديني متطرف في خدمة الديكتاتور عمر البشير مقلوته الشهيرة: «الدين بحر ونحن كيزانه». ومن ثم، يرمز مصطلح «الكيزان» اليوم لرجال الدين الفاسدين، واستطراداً للاستبداد بصفة عامة.

شكّل استغلال الدين كأداة لتحقيق مآرب سياسية، ودمج الشريعة الإسلامية في الدستور الأساس الأيديولوجي للديكتاتورية. لم يَعد الثوار السودانيون يبعون ذلك؛ فمعظمهم مُتديّنون ومُؤمنون، لكنهم يعتبرون أن ممارستهم للشعائر الدينية أمرٌ شخصي لا يخص الآخرين. كما أن معتقداتهم تُعدّ من الشئون الشخصية التي لا ينبغي للسلطات أن تُفحّم نفسها فيها بصفة مستمرة. إن الهدف الأسمى لهذه الثورة يتمثل في المقام الأول في تنصيب حكومة مواطنة، غير خاضعة للسيطرة العسكرية والهيمنة الدينية، مما يستدعي التغيير الجذري للنظام القانوني بلدهم.

عندما شرعت في تصوير الاعتصام في أيار/مايو، كان شهر رمضان قد بدأ بالفعل قبل أسبوعين. وقد جرت العادة على أن تجوب شاحنات صغيرة أنحاء الاعتصام لتوزيع العلب الممتلئة بالأطعمة، قبيل موعد أذان المغرب بنصف الساعة. كما يقوم المتطوعون بشكل جماعي تشاركي بإعداد مئات الوجبات الرمضانية وعصائر الفاكهة الطازجة في المطابخ المُرتجلة داخل الخيام التي تتبع

الجمعيات أو الأحياء. وأمام كل خيمة تُنصب الطاولة على الحصير (البروش) لإفطار عشرات الأشخاص. «تعال حلل صيامك وافطر معنا!» هكذا يتم دعوة المارة لأخذ أماكنهم. لا ينبغي لأحد أن يشعر بالوحدة أو العزلة، فهذا هو وقت التكافل والتشارك. في كل مساء، يتَوَحّد المعتصمون حول مأدبة بهيجة ضخمة. وقد لاحظت في هذا السياق أمراً غيّر مألوف في السنوات الأخيرة في البلدان الإسلامية، ألا وهو التسامح تجاه الأشخاص الذين لا يمارسون الصيام. لا يتوارى «الفاطرون» عن الأنظار في نهار رمضان. علماً بأنه في أيامنا هذه، يتعرض المفطرون في البلدان الإسلامية للتوبيخ الحاد والاستنكار العميق. كما أنه في بعض البلدان مثل المغرب، لا يزال المجاهرة بالإفطار في الأماكن العامة من المحظورات التي يُعاقب عليها القانون. ولكن في السياق الخاص جداً للاعتصام، يُدعى المُفطرون بحرارة لتناول وجبة الإفطار مع الجميع. وهكذا يحل التسامح محل الإرغام والأوامر الزجرية، دون وأدٍ للحريات الفردية؛ إذ إن حرية الضمير والمُعتقّد هي أحد الحقوق التي يطالب بها الثوار. وعند مدخل نقطة التفتيش الواقعة في شارع النيل، يُلَوّح شخص صامت بلافتة على مرأى من الجميع مُدَوّن عليها:

«من أجل حرية المُعتقّد.
أمة واحدة للجميع.

من أجل سودان حرّ وخالٍ من العصبية القبلية.
من أجل حكومة مدنية»

يسعى الثوار المعتصمون لوضع حدٍّ لثلاثين عاماً من الأيديولوجية العنصرية التي انتهجها نظام عمر البشير. إن فكرة التعالي العرقي وتفوق العروبة قد وجّهت السياسات العامة، واستندت على توجهات متعجرفة تجاه القبائل واللغات الإفريقية الأخرى، وبررت حملات التهريب التي شنتها السُلطة المركزية في الخرطوم ضد المناطق الأخرى من البلاد. يقع السودان بين الشرق الأوسط وأفريقيا، ويضم خمسمائة وسبعين قبيلة تنتمي إلى ستة وخمسين جماعة عرقية مختلفة. كما يتحدث السودانيون



هند مدب

تحت نِيرِ القمع. الشيء الوحيد الذي نبتغيه هو العدل. نريد أن يعيش الناس في سلام مثل الإخوة. لم نعد نتقبل تقسيم الناس حسب انتماءاتهم القبلية. كفانا قَوْلًا هذا عَبْدٌ وذاك عربي. لقد سئمنا هذه الأقوال.

ثلاثون سنة.. لقد بَلَغَ السَّيْلُ الزُّبَى! هذا من دارفور، وذاك من جبال النوبة، وهذا من الشمال: لم نعد نرغب في سماع تلك التصنيفات بعد الآن؛ فنحن إخوة. نحن صِرْنَا الآن شخصًا واحدًا». للانعقاد من نِيرِ الاستبداد ووطأة الحروب الأهلية التي دارت رحاها لعقود طويلة، أضحى السودانيون من الآن فصاعدًا جاهزين «ليشكلوا شعبًا واحدًا» ■

هند مدب Hind Meddeb

أكثر من مائة وسبع عشرة لغة. لقد فرض النظام السابق اللغة العربية والديانة الإسلامية من أجل قمع السكان، وتقسيمهم، وبسط سيادته عليهم. ويتطلع المجتمع المدني من خلال هذه الانتفاضة إلى التعايش السلمي بين القبائل والمعتقدات المختلفة. وتَقَبُّلُ الآخر واحترامه، وتحقيق الوحدة في إطار التنوع، هذه هي الرسائل التي تروجها هذه الثورة، حتى وإن كان التمييز العنصري بين المجموعات الإثنية المختلفة لا يزال قائمًا في واقع الحياة اليومية، وإن الجيل الجديد لا يزال يكافح من أجل تغيير ذهنيات كبار السن.

لقد جَمَعَتْ العديد من شهادات الشبان حديثي العهد بالزواج الذين يواجهون مقاومة من قِبَلِ عائلاتهم. وفي هذا الصدد، يوجد بالفعل صراع بين الأجيال. أثناء الاعتصام يستنكر ناشط شاب استراتيجية «فَرَّقْ تَشَدُّ» التي انتهجها النظام البائد بغية شقِّ الصِّفِّ وإثارة الفتن والتناحر بين القبائل: «عندما يقتلوننا، فهم يحرقونا، وعلى الأقل لا نموت عبثًا. إن الموت دفاعًا عن حقوقنا أفضل من العيش





تُؤرّثُنا ما بعدُ الإنسانِ

١٠٧

هند مدب، ٢٠ مايو ٢٠١٩



بدأت محاولات نزع الشرعية لكل طرف من الآخر. حيث تكمن شرعية المجلس في اعترافه بميدان الاعتصام والحفاظ على سلامة المعتصمين حتى تبلغ الثورة أهدافها. وأي محاولة من المجلس لفرض الاعتصام أو تشويه قضية المعتصمين والنظر إليهم كفوضويين تُقابل من الثوار بحجج نزع الشرعية من المجلس، وتصويره كامتداد للنظام السابق وتَحكم جنرالات الإسلاميين فيه.

ازدادت حدة الصراعات حول الشرعية عندما حاولت مجموعة من العساكر فك المتاريس، عند انتشار الخبر، هرع جزء من سكان المدينة للحاق بالمعتصمين. عندها ادعى قائد القوات التي أتت للميدان يحملون الهراوات أنهم أتوا لنظافة الميدان وليس لفرض الاعتصام، رد عليه الناس: عليكم بنظافة السودان من (الكيزان) ونحن قادرون على نظافة الميدان.

وفي هذا الرد دلالة بالغة على ما يتوقعه الثوار من المجلس عكس ما يشغل به المجلس نفسه. وأُعتبر امتعاض المجلس من إغلاق الطرق في الوقت الذي لم يتم فيه إخراج أي تقدم لأهداف الثورة دلالة قوية على عدم جدية المجلس تجاههم.

خَصُرَتْ مشكلة نشبت بين ضابط برتبة عميد ومعه قوة حوالي خمسة عشر فردًا وجدوا متراسًا جديدًا وهُمُّوا بإزالته، ورفض الثوار ذلك، وسادت نقاشات بدرجات مختلفة من الجدية والخشونة بين كل خمسة إلى عشرة من المعتصمين يحيطون بأحد أفراد تلك القوات النظامية، حاول بعضهم إزجاج الثوار عنوةً. وفي ثنايا الحوارات، قال الضابط أنهم لو كانوا يعلمون أن الثوار سيتصرفون معهم بهذه الطريقة لما قاموا بحمايتهم في الأيام الأولى. وسرعان ما رد عليه الثوار أنهم لا يعترفون بحماية أحد من القوات إلا النقيب حامد والقليل من القوات التي كانت تحت إمّرتيه، وأن الذي قدّم حماية للثوار لا يتحدث بلغة فيها تفضّل، وأن أسلوبه لا يدل على أنه ممن كانوا يدعمون الثورة ناهيك عن حمايتها.

كان من بين المطالب الأساسية التي قدمتها قوى الحرية والتغيير للمجلس العسكري تفكيك جهاز الأمن، وحل الميليشيات الإسلامية، والقبض على رموز النظام السابق، بالإضافة إلى خطوات تسليم السلطة للمدنيين عبر التفاوض. صارت الاستجابة لهذه المطالب من المؤشرات الأساسية التي يقيس بها الشارع مدى جدية المجلس الجديد في انتمائه وتبنيه خط الثورة. وقد دارت كثير من الشائعات في الأيام الأولى حول إغلاق مقار المؤتمر الوطني والقبض على رموز النظام ومصادرة بعض الأموال وتجميد عدد من الحسابات. ساد بعض الشعور بالارتياح قبل أن تدب الشكوك تدريجيًا تجاه المجلس، خصوصًا وأنه تكلأ في الدخول في المفاوضات مع قوى الحرية والتغيير، واعتبر أن مقترح الأخيرة سيتم مناقشته ضمن عشرات المبادرات المقترحة المدفوعة من جهات كثيرة من ضمنها من كانوا في السلطة حتى سقوط النظام.

هنا بدأت التوترات تزداد رويدًا رويدًا بين المدنيين والعسكريين، بعد أن ساد جو من العمل المشترك والاعتراف المتبادل. وكلما أُلْقَتْ لجان تأمين المتاريس القبض على شخص مُشتبه فيه كانوا يسلمونه لأفراد الجيش المنتشرين حولهم؛ وذلك لتفادي أخذ القانون بيدهم. وعلى الجانب الآخر، لم يعترض أفراد الجيش على قيام الثوار بتفتيش كل من يدخل ويخرج من ساحة الاعتصام. أصبحت العلاقة بين أفراد الجيش من ضباط الصف وأفراد المتاريس علاقة تبادلية، على عكس قوات الدعم السريع الذين كانوا يتواجدون فقط حول مركباتهم المُدَجَّجة.

لم يَدُم الوقت كثيرًا حتى أصبح المعتصمون يتذمرون من تكلؤ المجلس العسكري في تنفيذ أهداف الثورة. وساد الحديث عن أن الكثير من أفراد المجلس ينتمون للتنظيم الإسلامي داخل قيادة الجيش، وذلك ردًا على إبداء بعض أفراد المجلس نقدهم للاعتصام، وإغلاقه للطرق والجسور، وشل الحركة. ومن هنا

تحمل هذه المشادة البسيطة نفس ملامح النقاش، الذي يجري في أعلى المستويات، ويحدث فيه إنقاص من شرعية المتخاصمين بعضهم بعضاً، كأن يدحض المجلس العسكري فكرة أن قوى الحرية لا تمثل الثوار بصورة حصرية، وأن ترى قوى التغيير أن المجلس والقادة ليس لهم علاقة بحماية الثورة.

دارت نقاشات كثيرة حول هوية القوات التي ضربت المعتصمين العزل في اليوم الثامن من شهر رمضان. يشير معظم شهود الميدان إلى قوات الدعم السريع. وهناك من تحتاج أن هذه من جيش الدولة العميقة وميليشياتها، التي تنتحل صفة الدعم السريع، ولبس زيهم، واستخدام سيارات تابعة لهم؛ لإحداث وقعة بين هذه القوات والثوار. ولكن سرعان ما دب الشك تجاه هذه القوات التي لم يطمئن لها الكثيرون. ولم يخفف الشك نفي قائدها مشاركة قواته في تلك المجزرة.

أثار هذا الحادث أيضاً تساؤلات حول من كان وراء هذا التوسع الكبير لميدان الاعتصام، وخصوصاً أن التصعيد الذي أعلنه تجتمع المهنيين لم يذكر صراحة إقامة متاريس جديدة خارج الاعتصام، وهل تلك الوسائل تُعتبر تصعيداً وممارسة وسائل ضغط، باحتلال مناطق جديدة أم أن قوات مُندسة من جهات أمنية وميليشيات الإسلاميين الذين لم يعجبهم التقدم الذي أحرزته المفاوضات بين قوى الحرية والتغيير والمجلس العسكري يتدنون تحت عباءة الثورة، لكي يُحدثوا فوضى عند المتاريس الجديدة، واستغلال شجاعة الشباب وجاهزيتهم لمواجهة القوات؛ لإحداث اشتباكات تحت دعاوي الحفاظ على المتاريس وجَرّ الثورة السلمية للعنف.

بدأت اللجنة الميدانية لتجمع المهنيين فعلاً في إصدار بيانات تحث المعتصمين على إزالة المتاريس الجديدة والعودة لحدود الاعتصام في اليوم السادس من نيسان/أبريل، أول أيام الاعتصام. ونشروا خريطة توضح تلك الحدود. وجاء رد فعل المجلس العسكري قوياً برفض هذا التصعيد غير المُبرّر في

الوقت الذي تتقدم فيه المفاوضات. وأعلن المجلس تعليق المفاوضات ريثما تتم إزالة المتاريس الجديدة وتهيئة الأجواء للمفاوضات. وهذا ما اعتبره المعتصمون تكتلاً من المجلس ومحاولة لكسب الوقت لترتيب أوضاعه، لا سيما وأن جزءاً من جنرالات المجلس لم ترق لهم نتائج المفاوضات الأولية، مما أحدث شرخاً بين بعض أفرادهم.

أُعتبر تعليق المفاوضات تسويقاً غير مُبرّر، لا سيما وأن إزالة المتاريس كانت قد بدأت من قبل الثوار أنفسهم حتى قبل أن يصدر المجلس بيانه. زادت الهوية بين المجلس والمعتصمين الذين يُجمعون، بغض النظر عن تقييمهم لتوسعة رقعة الاعتصام، على أن كل ما حدث لا يُبرّر استخدام القوة المُفرطة وقتل السلميين العزل عند المتاريس. وفي نهاية الأمر وبغض النظر عن هوية القوات المهاجمة، يتحمل المجلس مسؤولية تأمينهم والإخفاق في القيام بهذا الدور، إن لم يكن المجلس متورطاً بصورة مباشرة في الأحداث.

ازدادت الشكوك وهوة عدم الشرعية بسبب نتائج التحقيقات التي أعلنها المجلس العسكري، وأتوا بشباب اعترفوا بأنهم من قاموا بضرب المعتصمين. وقد اعتبر المعتصمون ما تم بثه من اعترافات مسرحية سمة تستبطن عنصرية تجاه أبناء دارفور؛ لأن كل من عُرضوا كمتهمين قبل أنهم من إقليم دارفور، وأن هذه نفس الأساليب القديمة للتضحية بهم كما حدث في بداية الحراك. النقطة الأساسية التي أثّرت هي أن إسهام المجلس في الثورة يتمثل في توفير الأمن، بيد أنه لم يستطع أن يحمي المعتصمين أو أن يقبض على المجرمين الحقيقيين؛ ما يجعل فريضة انحيازهم للثورة أقل تصديقاً ■

تامر محمد أحمد عبد الكريم سيد أحمد

هاشم صديق شكراً جزيلاً

شكراً جزيلاً

للطريق

سوى البدع

للأمل وسط السراب

للعذاب

والمشاوير الغريبة

جمر الضريبة..

للغبار

للملمات الكبيرة

للأذى

شكراً جزيلاً

للعاليك

للخفر

وسط الخطر..

فن النميمة

القديمة

والعبور

للكآبه

للتفاسير

للجروح

شَبَقَ الكتابه ■

للخناجر.. للمغاس

لامن يضيق

فَتَحَ مدارس..

لي حُرَاب

في كل باب

لي تمن

شكراً جزيلاً

للبروق

للأسى

الكَنَب الغنا

لي سلاطين

والسياده.

في كل ممر

شكراً جزيلاً

للأباطيل اللئيمه

لي جَبُر

فوق الهزيمة..

لي طبول

للتقارير

الْفَتَحَت ورد الغنا

للمتاريس.. للدسائس.

للوّجع

شكراً جزيلاً

ناساً قُرَاب.

للمحكات العجيبة

عشق الوطن

للُعصار

الباقة نار

اللف الجزيرة

وضو البصيره..

الحساده.

للإبر فوق الوساده

للكوب

لي ملوك

والأساطير

كسر العزيمة

شكراً جزيلاً

عصر الحرابه

للقابه

وفَجَرَت



١١٢

السودان، ٢٠١٩ نقطة ومن أول السطر

محمد كيتا



محمد كيتا



محمد كيتا



أحمد انو، ١ مايو ٢٠١٩



سعد التتي، ٩ ابريل ٢٠١٩



من الضمائم إلى الضمائم

١١٧

محمد نور الدين، ١٤ مايو ٢٠١٩



شهدت الساعات الأولى من صباح الثالث من شهر حزيران/ يونيو اندلاع مواجهات عنيفة بين المدنيين والمسلحين، في ظل تنامي التوترات السياسية.

فمن خلال عملية مُدَبَّرَة بلاريب وإن كانت سيئة التحضير، عُبِّرَت أعمدة من الرجال المسلحين على متن عشرات من الشاحنات البيضاء وقوات الدعم السريع، يرتدون زي الشرطة المسؤولة عن الحفاظ على النظام وقوات الدعم السريع، عبروا الحواجز، وتخطوا المتاريس، وداهموا ساحة الاعتصام. وبينما استهدف القناصة أولئك الذين يمكنهم تصوير المشهد بواسطة كاميرات هواتفهم النقالة، شرعت قوات المشاة في ضرب المعتصمين بالهراوات، وإذلالهم، واغتصاب النساء، وإلقاء عشرات من الجثث في نهر النيل، وفقًا لشهادات العديد من الناجين التي تم جمعها وتوثيقها خلال الأيام والأسابيع التالية.

تم فض الاعتصام في غضون ساعات قليلة، وبرزت بضعة أجزاء من اللوحات الجدارية تحت طبقات الطلاء الأبيض التي ألقيت على عجل على الجدران بُغْيَة محوها وتشويهها، وإخفاء معالم موقع الاحتجاج الذي تم وضعه من الآن فصاعدًا تحت حراسة سرية من قوات الدعم السريع المنتشرة هنا وهناك أسفل الأشجار. وأصبح التوقف في هذا المكان لالتقاط الصور مرة أخرى أمرًا مستحيلًا، بينما كانت مكبرات الصوت لا تزال تصدح البارحة بالخطب والأغاني الثورية.

الآن لا يسع المرء إلا أن يسلك شارع الجامعة بالسيارة، مُلقياً نظرة مُتَحَسِّرة على تلك اللوحة المرسومة على الأرض وكأنها مجرد رسالة عابرة أخيرة. النضال يواصل التأقلم والتكيف، ويعاود الانتشار مثل هذا اليوم الثلاثين من شهر حزيران/ يونيو 2019 ■

بقلم: جان-نيكولا باك
Jean-Nicolas Bach

وشوارع الخرطوم لازالت مُتَشَحَّة سَوَاداً ومُضَرَّجَة بدماء شهداء فض اعتصام القيادة العامة، والغضب لازال يَتَسَيَّد الموقف، والشعب السوداني يَتَرَقَّبُ إعلان المجلس العسكري الانتقالي لبيان موقفه من مُقْتَرَح الوساطة الأفريقية الأثيوبية؛ لاستكمال التفاوض وتسليم السلطة للمدنيين من قوَى إعلان الحرية والتغيير، بناءً على ما تم التوافق عليه في جولات التفاوض السابقة، فإذا بالمجلس العسكري الانتقالي يُعْلِنُ إخلاء مسؤوليته عن كل ما تم الاتفاق عليه مع قوَى إعلان الحرية والتغيير، ويسعى لخلق غطاءٍ مدني جديد يشمل ما يُعرَف بالإدارة الأهلية إضافة لأحزاب أخرى معروف عنها دعمها للنظام البائد الذي ثارت جموع السودانيين عليه، وإذا بالمجلس ذاته يُلوِّح بانتخابات مُبَكَّرَة بخلاف ما اتَّفَقَ عليه، وإذا بالخرطوم تتحوَّل لِثُكُنَاتٍ عسكرية تم نشرها تحت مُسَوِّغ حفظ الأمن.

حينها دعا تَجَمُّع المهنيين السودانيين لمليونية عبر صفحته على (فيسبوك) و(تويتر) ليضرب الثلاثين من حزيران/يونيو موعداً مُرتَجى لها، دعوة ابتدرها التَّجَمُّع بندا لامتس قلوب الملايين من جموع الشعب السوداني التَّوَّاقٍ لحرية وفجر خلاصه المأمول: «لنعبى الشوارع بهتافنا من جديد، ولنجعل من موكب الثلاثين من حزيران/يونيو سطوراً بارزا في الفصل الأخير لمسرحيات النظام المتهالك ومجلسه الرقيق». تزامن المُوَعَّد مع الذكرى السنوية الثلاثين لانقلاب الإسلاميين على حكومة ديمقراطية مُنتَخَبَة، وكان إنقلاباً نُصَّبَ على إثره الرئيس المخلوع عمر البشير وبقي على سدة الحكم ثلاثون عاماً عامًا، تَبَيَّنَ فيها نظاماً شمولياً أدى لعزلة السودان سياسياً وإخفاقه إقتصادياً، وذاق خلالها الشعب السوداني الأمرين رغم جسارته ونضالاته التي لم تستكين.

كان صَدَى نداء التَّجَمُّع مُذهلاً، وكان التفاعل مُعْدِيًا، كانت أضرب الاستجابة للنداء مُبَتَكَّرَة ومتعددة فكُثِفَت الدعوات على الأسافير، رغمًا رغمًا عن انقطاع خدمات الشبكة العنكبوتية، ووزَّعَتْ رقائق الدعوات المكتوبة على المنازل وأماكن العمل



وفي التجمعات لاسيما في أماكن المواصلات العامة، وُزيت جدران المدينة بذات الدعوة رغماً عن الانتشار الأمني الكثيف، وانطلقت المواكب الدعائية التي جرت العادة أن تتحرك قبل يوم واحد مُعبئة الحناجر بهتاف «بكره الموكب» تأكيداً على الموعد المضروب وإثارة لحماس الثوار.

الأصداء العالمية لدعوة مليونية 30 حزيران/يونيو 2019

في رد فعل صريح للدعوات التي أطلقها تجمّع المهنيين السودانيين؛ لتسيير مواكب القصاص للشهداء وتسليم السلطة للمدنيين، قال الاتحاد الأوروبي إن الشعب السوداني له حق التظاهر والتعبير عن آرائه بحرية، وأنه لمن واجب المجلس العسكري الانتقالي ضمان سلامة الجميع في السودان، والامتناع عن أي استخدام للعنف ضد المحتجين.

أما منظمة العفو الدولية (أمستي) فكانت قد أصدرت بياناً طالبت فيه المجلس العسكري الانتقالي بحماية المدنيين، فيما قال الأمين العام للمنظمة (كومي نايدو) «إن الاستخدام المروّع وغير المُبرّر للقوة المُميّنة وغير الضرورية ضد المحتجين كما حدث في الثالث من حزيران/يونيو يجب ألا يتكرر مرة أخرى».

متاريس في وجه المليونية

كانت أولى العقوبات التي واجهت المليونية هي انقطاع خدمة الإنترنت المتعمد، والذي تم فصله منذ صبيحة الثالث من حزيران/يونيو عند جريمة فض اعتصام القيادة العامة. وكان من شأن حجب الخدمة أن يؤثر في وصول الدعوة للاحتجاج لأكبر عدد ممكن من الثوار، غير أن الثوار ابتدعوا وسائل جديدة للتواصل (بعضها تمت الإشارة إليه في صدر المقال) كان من بينها إرسال رسائل نصّية للتأكيد على الدعوة وتحديد مساراتها. بيد أن الثورة المضادة عمدت لاستغلال ذات الطريقة،

فقامت بإرسال عدد مهول من الرسائل النصّية مُدعية فيها تأجيل المواكب المُزمع قيامها في الثلاثين من حزيران/يونيو حتى السابع من تموز/يوليو في محاولة مستميتة لقمع الحراك، ولكن سرعان ما تم نفيها وتكثيف الدعوة للمواكب.

نشط السودانيون بالخارج والداعمون لثورة الشعب السوداني في كسر قيد القمع الرقمي، الذي تم فرضه في الداخل، فكان أن حصد وسم #مليونية30 يونيو أكثر من 53 ألفاً من التغريدات. ولم تكن تلك المرة الأولى التي يتم فيها استخدام سلاح العُزلة الرقمية ضد الثورة السودانية، كما لم تكن المرة الأولى التي ينجح فيها السودانيون في كسر الحصار ولفت نظر المجتمع الدولي لما يحدث بالداخل. لم ينس العالم بعد حملة «أزرق من أجل السودان» في النصف الأول من شهر حزيران/يونيو 2019، والتي ابتدورها أصدقاء شهيد ثورة كانون الأول/ديسمبر المجيدة محمد مطر، ليس فقط تخليداً لذكراه، وإنما تضامناً مع الثورة، وحتى يلتفت العالم لما يجري بالسودان. وسرعان ما تحولت الآلاف من ملفات التعريف الشخصي على منصات التواصل الاجتماعي للون الأزرق (اللون المحب للشهيد مطر) مصحوبة بوسم BlueForSudan # «الأزرق من أجل السودان».

لم تكف السلطات الأمنية حينها بحجب خدمة الإنترنت، بل قامت بتنفيذ حملات اعتقالات استباقية واسعة استهدفت بها قادة الحراك، بل تحطّ ذلك لتشمل مداهمة مقر تجمّع المهنيين السودانيين والكائن بالخرطوم بحي (قاردن سيتي) وذلك قبل يوم واحد من موعد الموكب المشهود ممانعة بذلك انعقاد المؤتمر الصحفي قبيل مليونية الأحد.

قام المجلس العسكري الانتقالي بإصدار بيان نشرته وكالة السودان للأنباء (سونا) يوم السبت التاسع والعشرون من حزيران/يونيو، أي قبيل يوم واحد من انطلاق احتجاجات 30 حزيران/يونيو، حمّل فيه قوى إعلان الحرية والتغيير المسؤولية

كاملة عن أي أضرار أو خسائر مادية أو بشرية تحدث جرّاء الاحتجاجات المُزْمَع انطلاقها ظهيرة اليوم التالي للبيان. فيما أكّد الفريق أوّل عبد الفتاح البرهان، رئيس المجلس العسكري الانتقالي، أن الجيش لن يُسلّم السلطة إلا لحكومة منتخبة يرضى عنها الشعب السوداني.

ملئويّة القصاص للشهداء وتسليم السُلطة للمدّنيين

شهد السودان بمختلف مدنه وأريافه تدفق حشود بشرية مهيبة، كانت الأكبر على مدى امتداد الحراك منذ اندلاع شرارة الثورة الأولى في كانون الأول/ديسمبر 2018. تركزت الجموع في مشهد يصعب وصفه على الشوارع الرئيسة وأمام منازل الشهداء، وهتفوا بالملايين مطالبين بحق القصاص للشهداء وتسليم الحكم للمدنيين رغم حملات التخويف من عنف مُنتظر. وكان المُشهد مُختلفاً عن سوابقه، حيث خرج الشعب من مختلف مناجي الحياة، بمختلف أعمارهم، وقد تجمّعوا حاملين على أعناقهم صور الشهداء، متوشحين بعلم السودان، ومؤكدين على حقوقهم. وشمل الحراك أرياف السودان ومدنه. وكما جرت العادة، كان العنف سمة حاضرة في مواجهة المحتجين من الثوار المدنيين العزل، وكان أن ارتقى أول شهيد بمدينة عطبرة بحسب لجنة أطباء السودان المركزية، والتي أعلنت لاحقاً عن ارتقاء سبعة شهداء آخرين وإصابة مائة وواحد وثمانين من الجرحى.

ملئويّة ٣٠ حزيران/يونيو وتغيير الخارطة الجيوسياسية للسودان

لم تكن مواكب الثلاثين من حزيران/يونيو للعام 2019 في السودان اختباراً لقدرات قيادات السودانيين السياسية في قوى إعلان الحرية والتغيير وتجمّع المهنيين السودانيين في المحافظة على ثقة الشارع وإدارة الحراك الشعبي في المرحلة، التي تلت فض

اعتصام القيادة العامة فحسب، بل كانت اختباراً حقيقياً لمدى صمود السودانيّين، لاستبسالهم ومدى استعدادهم لتقديم التضحيات، الواحدة تلو الأخرى، من أجل تحقيق شعارات ثورتهم الثالثة (الحرية، السلام، العدالة). كما كانت لتأكيداً جلياً على رغبتهم الملحة في الحكم المدني الرشيد، وإعادة لتأكيد كسر حواجز الخوف من القمع والقهر والقتل والسحل والتعذيب وكل المظاهر المرتبطة بالعنف المُفرط والإرهاب السلطوي، والتي لم تُجدِ فتيلًا، ولم تقف في طريق الحراك، ولم تتمكن من تحقيق تدفقه أو انحساره منذ كانون الأول/ديسمبر 2018، هذا مع التأكيد بأن ما حدث في كانون الأول/ديسمبر كان مُحصّلة لنضالٍ امتدّ على مدى عقود ثلاث.

لم يكن اعتصام القيادة العامة سُدرةً مُنتهى لثورة شعب السودان الثالثة، بل تلتّه مواكب القصاص للشهداء وتسليم السلطة للمدنيين، والتي توجّهت بسالة ساحات الاعتصام بتحقيق جزء من المطالب المرفوعة منذ بداية الحراك. نجحت المليونية التي فاجأت المراقبين بحجمها — بل وحتى طرقيّ التفاوض — في إعادة ميزان القوى لوضعه القديم، فكان أن عاد الطرفان لطاولة المفاوضات المُعلّقة منذ شهر أيار/مايو من جديد، وتم إطلاق سراح المعتقلين السياسيين، الذين اكتظت بهم المعتقلات، فخرجوا محمولين على الأعناق، مرددين شعارات الثورة ومطالبين بتسليم الحكم للمدنيين. وقد كان إطلاق سراح المعتقلين قد تم بناءً على مطالب قوى إعلان الحرية والتغيير مدعومة بضغط الشارع.

ورغمًا عن أن المجلس العسكري الانتقالي لم يكن مُستعداً للتنازل عن جميع الكيانات ذات التأثير في اتخاذ القرارات الحيوية، إلا أن المدنيين كان بإمكانهم الحصول على مكاسب أكبر من خلال عملية التفاوض، غير أن سياسة المحاور وتسرّع قوى إعلان الحرية والتغيير في التوصل لحل من شأنه التخفيف من شدة الاحتقان السياسي دون خسائر كبيرة، أفضيا إلى التوقيع على وثيقة الإعلان الدستوري التي ارتضاها الطرفان

والتي — أياً كان رضي السودانيين عنها — تكون قد أسست لمرحلة انتقال ديمقراطي يفضي لديمقراطية حقيقية، ودولة قانون، وحكم رشيد يحترم حقوق المواطنة، ويُعيد للسودانيين مكانتهم بين شعوب العالم. غير أن ذلك لم يكن ليحدث دون أن يطيأ السودانيون على جراحات فض اعتصام القيادة العامة المأساوي، وتنسج آلامهم هتافات استرداد الحقوق في الثلاثين من حزيران/يونيو في أضخم حشد بشري شهدته ثورة كانون الأول/ديسمبر المجيدة، ليصنعوا بذلك لبلادهم ميلاد فجر جديد، وليكتبوا صفحة جديدة في تاريخ السودان السياسي الحديث ■

أسامة أبوزيد نقد



ميتشي جعفر، الخرطوم، شمبات، غرافيتي للثوري أحمد عمر حضرة، البالغ من العمر ٦٣ عاما، اعتقل في الأيام الأولى للانتفاضة من بين قادة المعارضة الآخرين. قاتل هو وعائلته ضد النظام الديكتاتوري لأكثر من عقدين. بجانبها صورة أحمد واس الذي خاض العديد من معارك المقاومة وأصبح رمزا للمعارضة



سهى بركات، ٢٥ ابريل ٢٠١٩. امرأة حزينة تعرض صورة شقيقها الأصغر، المدرس الذي توفي تحت التعذيب في سجون النظام خلال الثورة.



محمد نور الدين، ١٥ مايو ٢٠١٩



ميتشي جعفر، ٢٢ يناير ٢٠١٩. غرافيتي تصور الشهيد هزاع عز الدين الذي اغتيل خلال انتفاضة عام ٢٠١٣. الأشخاص الذين حضروا مراسم تشييعه قالوا إن رائحة الغاز المسيل للدموع خرجت من جسده. أصبحت والدته مناضلة، ثم أيقونة للثورة ورمزا للمقاومة.



میتھی جعفر، ۱۰ فبرایر ۲۰۱۹



ميتشي جعفر، ٢٨ فبراير ٢٠١٩. الشعار الموجود على هذه اللافتة مقتطف من قصيدة أصبحت أغنية مشهورة. يبدأ بدعوة شاب شهيد اسمه محجوب: محجوب تعال يا ود حشاي أخوات؛ القت ما يدقوهن خلاص.

الْمُتَعَدِّرِ السَّيْرِ معها في الشارع دون أن يُوقِفَهَا الْمَارَّةُ الَّذِينَ يَرِغْبُونَ جَمِيعًا في شكرها على عباراتها التحفيزية، والتقاط الصور معها والدموع تَتَرَقَّرُ في أعينهم.

أصبحت (شجن)، البالغة من العمر تسعة وعشرين عامًا، إحدى «أَيُّفُونَات» الثورة السودانية على الرغم من كونها إنسانة متواضعة ومُتَحَفِّظَةٌ. وُلِدَتْ ونشأت في المملكة العربية السعودية. لم تكتشف بلدها الأصلي إلا مُؤَخَّرًا جدًا، عندما قرر والدُها العودة إلى السودان عام 2017، البلد الذي لا تزال تستكشف تاريخه وثقافته حتى اليوم. حققت (شجن) حلم طفولتها بدراسة الهندسة المعمارية بجامعة قاردين سيتي. وهي شغوفة بالقراءة والكتابة، ثم اتجهت للرسم والعزف على الجيتار على إثر لقاءات أجرتها في الاعتصام.

سماح موسى الطاهر، أما طَالِبَةِ الطَّبِّ، التي تبلغ من العمر خمسة وعشرين عامًا، فتتأهل للحصول على الزمالة، وهي تَقْرُضُ الشُّعْرَ وترسم، وتقول إنها تأثرت بالشعراء (محبوب شريف) و(حميد) و(محمود درويش) و(أحمد مطر).

نشأت (سماح) في عائلة من النشطاء السياسيين، الذين أفسحوا أمامها مجال الكتابة الشعرية منذ سن الثالثة عشر. اكتشف والدها الأيديولوجية الماركسية، وأصبح في وقت مبكر جدًا عضوًا في الحزب الشيوعي السوداني، وقرض الشعر. أما والدتها فهي أيضًا ناشطة ومؤيدة مُتَحَمِّسَةٌ للثورة ومؤلفة للعديد من القصائد.

مُقَابَلَةٌ حَوْلَ الشُّعْرِ وَالثَّوْرَةِ

ضحى: ممكن الزول، زول عادي يكون قاعد يشوف حاجة عجبتة يقول جملتين، أو بيت شعر، أو مقطع من أغنية. دي الطريقة اللي إنت بتعبر بيها عن نفسك في كلامك العادي زي كتير من السودانيين.

الحوار التالي مُقْتَطَفٌ من فيلم تسجيلي سيصدر مُسْتَقْبَلًا، قمت بتصوير هذا المشهد في شهر كانون الثاني/يناير 2020. عقب انقضاء ستة أشهر على مجزرة 3 حزيران/يونيو ٩١٠٢، بدأ شباب الخرطوم في العودة إلى موقع الاعتصام واستعادة الفضاء العام، لا سيما من خلال إعادة رسم اللوحات الجدارية الثورية، التي أزالها ومحاهها العسكر. في ذلك اليوم، دعوت ثلاث شابات شاركن بفعالية في الثورة لمقابلتي أمام «جدار الشعراء»، وهو حائط يقع في وسط مدينة الخرطوم وتغطيه الصور والكتابات.

ضحى محمد، مُصَوِّرَةٌ ورَسَّامَةٌ، وهي وَاحِدَةٌ من الفنانين الذين رَسَمُوا على جدران الاعتصام. هذه المرأة الشابة ذات السبعة وعشرين ربيعًا إِبْتَدَعَتْ أسلوبها الخاص من خلال رسم لوحات جدارية تُمَثِّلُ المرأة السودانية فخورة بنفسها، تتزين بأقراط ذهبية كبيرة، وترتدي أقمشة ملونة. تدرس (ضحى) التصميم الصناعي، وقد تلقت تدريبًا على التصوير الفوتوغرافي من خلال ورشة عمل نظمها معهد جوتة الألماني عام 2014. ومنذ ذلك الحين، تقول إنها تُفَضِّلُ عرض الأشياء بدلًا من الحديث عنها. كما وُثِّقَتْ كافة مراحل انتفاضة 2019، بدءًا من التظاهرات الأولى وحتى تدمير الاعتصام والأسابيع التي تلت ذلك، عندما نُظِمَتْ المقاومة في الأحياء.

شجن سليمان داوود، «وُلِدَ قلمي من رَجَمِ الاعتصام. ما رأيته ألْهَمَنِي كل تلك الرسائل المثالية والطوباوية». التي أطلق عليها الثوار لقب (وزيرة السعادة)، كانت من أشهر «المبعوثات» اللاتي يأتين يوميًا إلى الاعتصام لتشجيع المعتصمين، الذين خَيَّمُوا في ميدان القيادة ومؤازرة حُرَّاسِ المتاريس. آلاف المعجبين يتابعون (شجن) على مواقع التواصل الاجتماعي، حتى إنه من

شجن: كانت فكرة مستلهمه من الاعتصام نفسه، وما بنسيميها شعر. هو ما شعر، هو خواطر، هو عبارات يعني، بس مكتوبة بشكل يليق بالاعتصام.

ضحى: صباحاً باكون في الشغل، فبدي راجعه أكون في المساكله في الاعتصام. كل يوم في الصباح لما بافتح (فيسبوك) باشوف (شجن)، باشوف الرسائل والخواطر اللي بتكتبها للناس. فكانت حاجة حلوة إن أنت بتكون مطمئن إن شايف (شجن) كل يوم الصباح بتقول رسالة للناس.

شجن: «عينك الذابلتان وملامحك المرهقة هما سحر القيادة وجاذبيتها. المجد لكم أيها الرفاق». أنا كنت زعلانة إن فيه احباط في نفوس الثوار. أول مرة دخلت رسالة كان عشان الناس تقعد يعني، كان بالليل. بعد كام خطبة من التجمع دخلت بالرسالة دي: «ما تحبطوا، ما تترجعوا، ما تستسلموا. أنتم الصمود، أنتم الثبات». دي أول رسالة كانت. بعدها، بقيت كل يوم بالليل بادخل برسالة.

بعدين بقت بالليل وبالصبح. كان إحساس مؤثر. كانت بتدعمني أنا قبل ما بتدعم المعتصمين. كنت بأرسل رسائل نصية للناس اللي عندي أرقامهم عشان ما كان يتوفر إلا عن طريق المكالمات أو الرسائل النصية. النت كان مقطوع. كنت بأرسل رسائل نصية والناس اللي بارسلهم بيرسلوا لناس تانية. اللي بيقدروا يوصلوا للنت بيراسلوا في النت برضه.

تتوقف (شجن) أمام صورة (محمد الحسن سالم)، المعروف بـ (حميد)، وتقول: عرفت (حميد) عن طريق الفنان (مصطفى سيد أحمد). (مصطفى سيد أحمد) أغانيه كلها بتمس حالك واحساسك لأنه كاتبها (حميد) يعني. فالشاعر بيكون بيتكلم عن حال الإنسان اللي عايش في البلد دي. (مصطفى سيد أحمد) عرفته الأول بعد ما جيت البلد دي في 2018، بيكتب عن الوطن بطريقة بتعبر عنك وعن أي زول. من زمان إلي الآن

إنت بتسمعه وتبقرى الكلام تلاقيه بيعبر عن حالك. وبيكتب عن الناس الحقيقيين أهل البلد البسطين اللي هما حاسين بالوضع، المزارعين، الصنایعية.

ضحى: أنا عارفة إن (حميد) اتوفى بسبب حادث بتاع حركة وإنه زي ما كتبين هنا الشاعر بتاع الغلابة، الشاعر بتاع الزول السوداني العادي اللي بيكون جنبك في المواصلات، ماشي في الشارع، قاعد في الورشة، المزارع. وإنه كان برضه من الناس المناضلين، فكان اتعرض لاعتقالات برضه. بس بتحس إنه كأنه شايف الثورة وشايف إنها ها تحصل. أغلب القصايد بتاعته كانت هتافات كنا بنقولها أثناء ما احنا في المواكب واحنا قاعدين في الاعتصام. أكيد هيكون مبسوط كتير لأنه شايف قصايد كلها بتتقال في الشوارع والناس حفظاها.

سماح: أنا عايزه أقول إن (محجوب شريف) و(حميد) و(الفيتوري) من أبرز العلامات في الشارع السوداني. أغلبية قصائدهم بتتكلم عن الثورة، عن الطبقة العاملة، عن كفاح الطبقات. (الفيتوري) عنده قصايد عن الإنسان الأفريقي، وعن العبودية. بيتكلموا عن المواطن السوداني البسيط. فأشعارهم كانت ملهمة لكثير من الناس لأنهم بيفكروا في الثورة بمنظور الشخص السوداني. فأغلبية الهتافات في الثورة كانت، زي ما قالت (ضحى)، من أشعار (حميد) و(محجوب شريف)، والناس كانوا بيتغنوا بيها. فدورهم كان كبير في الثورة، حتى هما ما حضروا الثورة دي لكن رسخوا فينا معاني الثورة، ومعاني الإنسان الثائر والمناضل.

ضحى: شعرهم كان بيتكلم عن كفاح الطبقات. (حميد) كان بيتكلم عن الثورة حتى من قبل ما تحصل وكأنه كان حاسس إن هي ها تحصل، وكان متأكد أو مؤمن إن هي ها تحصل. فكل قصايد لما حصلت الثورة كنا بنقولها في الهتافات، كنا بنقولها في الاعتصام، كانت الناس بتتغنّى بيها. ما كانت الحاجات



هند مدب، ضحى، شجن و سماح.

دي غريبة علينا أو كأنه يا دوبك احنا بنسمعها لأول مرة. إحنا كنا سمعيناها حياتنا كلها، وجه الوقت اللي بقينا بنقدر نقولها بصوت عالي أخيراً. و(حميد)، و(محبوب شريف)، و(القدال)، حتى الفرق الغنائية وحتى الفنانين اللي كانوا بيتغنوا بالقصايد بتاعتهم كانوا بيوجهوا مشاكل مع النظام. كانت حفلاتهم بتتمنع. كانت فيه أغاني معينة ما بيقدروا يغنوها. دلوقتي إنت بتقدر تسمع أغاني (حميد) و(محبوب شريف) اللي بتتكلم عن الثورة في أي مكان.

» اوعى الكلام الفارغ المنفوش فشوش

هقالي امبريالي سام
حفص السلام في ايدينا
ما في ايد عم سام
بس بالمطايبة بالسماح
ارضا سلاح

الحاجة الحلوة إنهم هنا كاتبين (حميد) يقولوا عليه شاعر الغلابة، (محبوب شريف) هو شاعر الشعب، (الفيتوري) هو شاعر أفريقيا.

سماح: أنا باكتب شعر، باحب الشعر. أنا باكتب شعر بالدارجي وبابا بيكتب شعر باللغة العربية الفصحى. بيكتب شعر ثوري أكثر حاجة. وأنا في الثورة كان عندي أشعار ثورية. في القيادة برضه كان عندي شعر قلته.

شجن: ممكن نعرف اسم بابا وماما؟

سماح: بابا اسمه (موسى الطاهر محمد)، وماما اسمها (علوية أحمد إبراهيم). ماما عندها قصيدة في الكتاب «بابا مع السلامة» حجة تأبين (محبوب شريف). وبابا من زمان عنده أشعار ثورية. يعني من وإحنا أطفال وإحنا بنقري أشعاره. هو ما نشرها، ما بينشرها، لكن أشعار يعني قوية بتأثر شديد من وهو طفل.

شجن: ما بيسمح لكم تنشروها؟

سماح: ما حكاية إنه ما بيسمح لنا ننشرها، بس ما نشرها، ما عارفة ليه. أقول واحد من أشعار بابا؟ طيب بابا لما كان مراهق، عمره 17، 18 سنة، كتب قصيدة اسمها «رفض الرفض». القصيدة بتقول:

» أحبائي وهذا البلد السودان فسيح مثل باحات

الخلود وذبذبات النبض

وريف مثل أوراق الخريف عليها الندى مرفض

أقول لكم نحن الشباب ونحن جيل الرفض

على أعناقنا نحمل عبء مسئولية التاريخ

فما أجدرها رحلة نهد بها ذرى المريخ

فهذا العامل افترش الثرى،

يقتات عظمًا واهنًا في الجسم

وهذا الزارع المنبوذ مثل السم يجوب الأرض»

حوامًا وراء الرزق وأمثلة وأمثلة تفوق الفهم فما أجدر أن نفعل.

ضحى: (القدال) هو برضه من الشعراء الثوريين. (عقد الجلاد)، واحدة من أشهر الفرق الغنائية هنا في السودان عندهم قصايد كثيرة بتاعة (القدال) بيتغنوا بيها.

في الحفل بتاع رأس السنة اللي فات، كنا بنتمنى انهم يغنوا (طواقي الخوف). فدي أول مرة أنا أحضر حفلة لـ (عقد الجلاد) يغنوا فيها (طواقي الخوف) اللي بتتكلم عن انفصال الجنوب، عن مشكلة حلايب، عن حاجات كتيرة كتبها (محمد طه القدال).

زمان كانوا ما بيقدروا يغنوا القصايد بتاعة (القدال) لأنه يا إما اتوقفت الحفلة، يا إما جه ناس النظام العام. واحدة من القصايد الثورية اللي بتتكلم ضد النظام، بتوريهم إن أنتم كل حاجة بتعملوها غلط.

سماح:

« إن قاتلوكم قاوموا لا تيأسوا لا تقنطوا
أنتم على حق وهم نفس الجناة
وأوصيكم يا أخوتي أن تلعنوا كل الطغاة
وكل تفكير الطغاة
وكل تكفير الطغاة
وكل شركاء الطغاة
حتى اللذين توقفوا عند الحياد
حتى الذين تفرجوا في موتكم
وكأنهم لا ينتمون لجنسكم
لعرقكم لم ينشأوا وتضمهم نفس البلاد
حكامكم رقصوا على أشلائكم
رقصوا ولم ينعوا أهاليكم
ولا صلوا على أجسادكم
أردوكم قتلى فهم دوماً قساة
لم يعبأوا بمعرفة الأسامي والقصص
قناصهم من فوق مبناه قنص
أخذوا رفاقكم ورموهم في قفص
ورئيسهم من فوق جثتكم رقص
فوق الضحايا بالألوف وبالمئات
لكنكم أحياء فينا ترزقون
أرواحكم تسعى وتعطينا اليقين
وتراقبون مسيرنا من فوق جنات النعيم
وتشعلون الثورة الغضة بأنوار الجبين
تهدوننا فوق الحياة كذا حياة
لا لن نخون أمانة الشهداء
لا لن تضيع دماؤهم عبثاً هباء
لا لن يكون الموت بيننا حاجز لو تعلمون
بأنهم أحياء عند الله عنده يرزقون
متنعمين منعمون فهم القوة وهم الثبات
وهم الأكارم والأبابة »

القصيدة دي قلتها يوم 23 مايو في الاعتصام. فترة الثورة كانت مليانة بالأحاسيس والمشاعر. يعني ملهمة بتخلي الواحد غصباً عنه يطلع بنتيجة: لوحة، قصيدة، أي حاجة، أي حاجة إنت بتشعر بيها عشان تحصل المد الحاصل في الثورة، إنك تكون جزء منها، تخلي لما ترجع بالزمن تقول إن أنا في الثورة كان عندي دور فني.

أنا في الثورة كان عندي دور فني

شجن: فيه حاجة خلطنا نعيش كل الأشكال الفنية. يعني أنا رسمت. أنا ما باسمي نفسي فنانة ورسامة أو حاجة معينة، لكن رسمت وغنيت وكتبت وعزفت. ما عزفت يعني جربت أعزف. فجربت كل الألوان والأشكال دي.

الاعتصام خلانا نعيش كل الأجواء، وجربنا كل الحاجات، واكتشفنا إن احنا فينا فن وفينا حاجات ممكن تطلع وفينا مواهب بس ما كنا عارفينها.

فنقدر نقول السودان كله فنانين، بس لازم يطلعوا الحاجة اللي جواهرهم. فيه صاحبي هو فنان فكان بيحاول يعلمني أدندن حاجة هأقولها:

« ليالي الخير جادن.. على المحبوب
نسائم الليل عادن.. من المحبوب
ليالي الخير جادن.. من المحبوب
نسائم الليل عادن.. من المحبوب
ها نظبط البلد بالفن إن شاء الله، ياذن الله. »

سماح: احنا كان الأصول نتكلم عن (الأزهري محمد علي).

ضحى: أنا ما بعرف عنه كثير بس باعرف إن الحكومة كانوا معاكسينه كتير. كان في أيام المواكب؟

سماح: كان موجود في أيام المواكب، وعنده صورة كده والناس شايولونه في الموكب.

ضحى: يعني لما تلاقي زول زي (أزهري) شاعر معروف ويكون معاك في نفس الموكب كان حماس الناس بيكبر بيقوى. في الاعتصام برضه كان موجود.

سماح:

» يا صاحب المشروع
في قصرك العالي:
الصوت هناك مسموع؟
دم الشهيد بي كم؟
ولا السؤال ممنوع
دم الشهيد غالي
والانكسر في الروح
ما يجبرو الوالي «

شجن: أي واحد بيقول الهتاف ده في أيام المظاهرات.

**أنا جدي ترهاقا..
وحبوبي كنداكة**

سماح: زي ما احنا شوفنا الشعراء شعرهم كان عبارة عن إرث توارثه الأجيال كلها وربونا تربية ثورية على الشعر ده. فلما التقى العامل الموضوعي مع الذاتي طلع بالشكل ده يعني.

فكل الهتافات زي ما قلنا كانت عبارة عن شعراء وصلوا صوتنا للعالمية عن طريق (آلاء صلاح) في الثورة لما كانت بتقول: «أنا جدي ترهاقا.. وحبوبي كنداكة»، كانت عبارة عن قصيدة ل(القدال). اتربينا تربية من احنا صغار على الثورة وكنا مستعدين نفسيًا ليها لحد ما وصلنا للمرحلة دي. كمان وصل إرثنا للعالمية

عن طريق الثورة. أغاني (وردي)، أشعار (محجوب شريف)، (أزهري محمد علي)، (القدال)، و(حميد)، كلها ساهمت بشكل ما في الثورة دي.

شجن: كثير من الشعراء دول اتوفوا الله يرحمهم. فدي رسالة بوجهها للناس انها ما تستحق من عملها. مين عارف عملك ده بعدين ها يوصل لوين. يعني دول ليهم كام سنة؟ فيه زول كتب الشعر ده في الستينات، حاجة بعيدة. واحنا لسه قاعدين نهتف بيه، بنعزز به، وبنحمس نفسنا. يعني كان الشاعر ده مساهم في الثورة بشكل أساسي. هما كانوا مشاركين معانا حاليًا في الثورة وهما متوفيين. فأنت ممكن تشارك في تغيير العالم كله بحاجة بسيطة تعملها وتستمر تستمر تستمر، وتموت وتستمر الأجيال، وتتوارث الأجيال، وتكون أنت بتغير وإنت ما عارف الحاجة دي. فما تستحق من نفسك، وما تستحق من عملك. خليك واثق في الحاجة دي، لما تكون واثق فيها ها تكون حاجة عظيمة وها تأثر للأبد، ها تأثر للأبد لحد الدنيا ما تنتهي، إنت ها تكون مؤثر ■

هند مدب



هند مدب، ٢٠ مايو ٢٠١٩. فتاة مراهقة تتلو قصيدة ثوري مجهول.

قصيدة ثورية مجهولة^١

يا يمة ما تبكي
لابس عباية الدين
مضبوح ومقلوع عين
ولا انتوا مرتاحين
الثورة في النيلين
يا طالع التاشر
انا طالع الشارع ومثمنك دمي
ما انت سوداني
نفداك بارواحنا
سلمية سلمية ■

خلي الوطن يبكي
الجثة في التربة
دخل الكلام الحوش
ولا احنا مرتاحين
يا ابوي ما تبكي
يا ماسك الدوشكا
ما تستبيح دمي
وانا زاتي سوداني
املا كنا محمية

انا حاسي بيه حزين
ظهرت بعد يومين
ضقنا الهوان الشين
الطيبة ليها حدود
خلي الوطن يبكي
يا اخوي ود امي
والعز لاوطاني
سوداني يا غالي
ثورتنا مشروعة

يلعن ابو الجانا
طالب في سنة اولى
يا ناس كفانا سكوت
الحي مصيره يشوف
انا حاسي بيه حزين
يا داري بي همي
احميك وتحميني
يا أرض حرية
مرقتنا سلمية

١ سجلت هند مدب هذه الاغنية خلال اعتصام القيادة بالخرطوم بشهر مايو ١٩٠٢.

و كذلك — هذه الصور الأخرى

٢٠١٩

السودان، ٢٠١٩ نقطة ومن أول السطر



ميتشي جعفر، ١٠ فبراير ٢٠١٩. منزل احتمت داخله مصورة.



و كذلك — هذه الصور الأخرى

٨٣١

ميتشي جعفر، ١٠ فبراير ٢٠١٩



سهي بركات، ٩ ابريل ٢٠١٩. لحظة ترديد الأناشيد الثورية التي ردها الثوار بالقرب من وزارة الدفاع. في وقت لاحق، أعلنت اللجنة المركزية للأطباء في اليوم الرابع من الاعتصام وفاة أربعة اشخاص جدد خلال محاولة لفض الاعتصام.



أحمد انو، ١٨ ابريل ٢٠١٩

و كذلك — هذه الصور الأخرى





أحمد انو، ١١ مايو ٢٠١٩



أحمد انو، ١٨ إبريل ٢٠١٩





أحمد انو، ٢٣ إبريل ٢٠١٩

و كذلك — هذه الصور الأخرى



أحمد انو، ١١ مايو ٢٠١٩

version imprimée

ISBN 978-2-918157-50-2

version numérique gratuite

ISBN 978-2-918157-51-9

imprimé sur les presses de PBtisk

République tchèque, janvier 2022

التصميم التحريري والإخراج

جان-نيكولا باخ

تنظيم معارض فابريس مونجيات

تصميم الجرافيك والإنتاج

أوليفيه كابون

بمساعدة ليا لوقوي

لم يكن لهذا الكتاب أن ينشر

دون دعم من وزارة الشؤون الخارجية

الفرنسية وسفارة فرنسا بالخرطوم

ومركز السديج بالخرطوم

والمعهد الفرنسي بالخرطوم

ومنظمة نيتسانيت

النصوص

عزة مصطفى محمد أحمد

ضحى بكري

فابريس مونجيا

هبة دياب

هند محمود يوسف حسين

هند مدب

جان نيكولا باك

محمد عبد الباقي ج. بخيت

محمد موسى إبراهيم

أسامة ابوزيد

صدام فارس محمد أحمد النور

تامر محمد أحمد عبد الكريم سيد أحمد

ياسر عوض عبدالله الطاهر

ترجمة النصوص عماد عدلي

كل الحقوق محفوظة

التنسيق: جان نيكولا باك مركز السيزنج بالخرطوم

هذا الكتاب هو ثمرة تعاون وثيق بين فابريس
مونجيا (المعهد الفرنسي بالسودان) وأوليفي كابون
(سوليب اديشنز).

شاركت المصورة جولييت انجيل في اختيار الصور
لهذا الكتاب.

هذا الكتاب استفاد من دعم وزارة الشؤون
الخارجية الفرنسية من خلال مركز الازمات
والاستقرار وسفارة فرنسا بالخرطوم ومركز السيزنج
بالخرطوم والمعهد الفرنسي بالخرطوم ومنظمة
نيتسانيت للبحوث ■



حضرت هذه الخريطة سهى بابكر

من مجموعات متاحة على وسائل التواصل الاجتماعي
(تويتر وفيسبوك) وبعض الاعمال الفردية والجماعية.

انظر الموقعين الاجتماعي:

sudanrevolution.org

sudanrevolutionart.org

تم تحضير هذه الخريطة الفنية من خلال البيانات التي
جمعها الهام علي وايمان صالح والاء عبدالرحمن. تم
تنزيل الخلفية من موقع:

Snazzy Maps

التنظيم المكاني لمناطق «الفن والثقافة» للاعتصام



Elman Salih
@elmany

Blue Nile River



Nibras Abdallah
@nibras_abdallah



Safrajet
@safrajet



eMastaba TV
@emastabav



Mohamed Al Goad
@mohamedal



Elman Salih
@elmany



Nibras Abdallah
@nibras_abdallah



Elman Salih
@elmany

Al Baladiya (municipality) Avenue



Elman Salih
@elmany



Moo Musa
@moo_musa



Elman Salih
@elmany

Mohamed
@mohamed

- 1 Safe Crossing
- 2 Safe Crossing
- 3 Pedestrian Safe Crossing
- 4 Barricade
- 5 Barricade
- 6 Barricade
- 7 Barricade
- 8 Barricade
- 9 Barricade
- 10 WC open to the Public
- 11 Barricade
- 12 Republic Barricade 1
- 13 Barricade
- 14 Barricade
- 15 Al Baladiya Checkpoint 1
- 16 Al Baladiya Checkpoint 2
- 17 Revolutionary Free Clinic (2)
- 18 Nuba Mountains Civil Forces
- 19 Darfur Revolutionaries
- 20 Al Damir Resistance Committees

- 21 Sudanese Veterinarians Association
- 22 Al Qiyadah Barricade 1
- 23 Agricultural Engineers Association
- 24 Sudanese Athletes Association
- 25 Barricade
- 26 Al Qiyadah Barricade 2
- 27 Al Qiyadah Barricade 3
- 28 Al-Islam Revolutionaries
- 29 Faculty of Radiology Clinic (1)
- 30 Sudanese Chemist Association
- 31 Al Tazem Al Azhar University Engineers Association
- 32 Barricade Securing Al-Imam Al-Mahdi Road
- 33 Sudan Social Development Organization - SUDO
- 34 Marginalized Sudanese Association
- 35 Al-Imam Al-Mahdi Road Checkpoint
- 36 Electricity Clinic (3)
- 37 Buri Tunnel
- 38 Tunnel Water Distribution Point
- 39 Mujaddid Organization
- 40 Barricade

- 41 Republic Avenue Graffiti Wall
- 42 Goldsmiths and Gold Merchants Association
- 43 Republic Barricade 2
- 44 Radio
- 45 University of Khartoum Alumni Administration
- 46 Soldiers for Freedom and Change
- 47 Children of Darfur
- 48 Democratic Alliance of Lawyers
- 49 Widyan Services
- 50 Checkpoint
- 51 Al-Khul House Lost and Found
- 52 Shambhat Resistance Committees
- 53 University of Khartoum Mosque
- 54 University Barricade
- 55 Barricade
- 56 Barricade
- 57 Graffiti Walls
- 58 Badeen Island Revolutionaries
- 59 Iron Bridge Barricade
- 60 Martyrs Graffiti Wall

- 61 Barricade
- 62 Nile Street Barricade
- 63 Clinic Entrance Checkpoint
- 64 Barricade
- 65 Art Zone - eMastaba TV (Cultural Programming)
- 66 Checkpoint
- 67 Library and Awareness Gatherings
- 68 Safrajet
- 69 University of Khartoum Medical Services Centre
- 70 Wadi Al Nile Kiosk
- 71 Wadi Al Rahat Cafeteria
- 72 Wadi Al Jazera Kiosk
- 73 Reclaiming the Engineers Union Initiative
- 74 Resilience Checkpoint
- 75 Futur Region Tent
- 76 Sudan Youth Movement
- 77 Sudanese Lawyers Association
- 78 Sudanese Designers Association
- 79 Sudanese Geologists Association
- 80 Sudanese Engineers Association

- 81 Our Full Rights Initiative
- 82 Givira Movement
- 83 University of Khartoum Engineers Network
- 84 Sudanese Countryside Development Movement
- 85 Main Stage
- 86 Graffiti Wall in Front of Aviation
- 87 Al Qiyadah Stage
- 88 Tea and Coffee Distribution Point
- 89 Food Distribution Point
- 90 Media Stage
- 91 Abu Jebel Resistance Committees
- 92 Kandaka (Women) Lounge
- 93 North Countryside, Um Durrman, North Sudanese Professionals
- 94 Sudan University Engineers Association
- 95 Turi Revolutionaries
- 96 Heavy Clinic 2 (4)
- 97 Food Distribution Point
- 98 Faculty of Mathematical Sciences
- 99 Buri Road Checkpoint
- 100 Merryers Exhibition

في خِصْمَ الحراك الثوري، يخفق قلب العاصمة السودانية على إيقاع الاعتصام الذي أُقيم حول وزارة الدفاع (القيادة العامة) بين 6 نيسان/أبريل و3 حزيران/يونيو ٩١٠٢. تمثل هذه المرحلة منعطفًا في الانتفاضة الشعبية التي اندلعت في كانون الأول/ديسمبر ٨١٠٢ لتطيح في ١١ نيسان/أبريل بالرئيس عمر البشير الذي ارتقى سُدة الحكم منذ عام ٩٨٩١. وعلى مدار شهرين، شهدت هذه الشوارع تحولات وتنظيمات وابتكارات تمخّض عنها ميلاد سودان جديد، وصياغة مشروع مجتمعي يتميز بالتعايش السلمي والأمل في العدالة والسلام. وقد انعكست هذه المطامح بصورة مرتجلة من خلال اللوحات الجدارية، والموسيقى، والقصائد، والأغاني. وأخيرًا عبّرت الفنون والخطابات السياسية علنًا عن ثورة مناوئة للاستبداد، والإسلامويّة، وطبقة سياسية تستأثر بالسلطة منذ ثلاثة عقود.

يُعد هذا الكتاب شهادة مُصوّرة عن هذا الزخم الثوري وطموحاته وآماله التي لا تزال قائمة. ويضم رصدًا لملاحظات الباحثين والنشطاء السودانيين والفرنسيين، بفضل صور المُصوِّرين السودانيين الذين عايشوا هذه الفترة المضطربة — بدءًا بالتظاهرات التي اندلعت شرارتها في كانون الأول/ديسمبر 2018، مُروّراً بالهجمات التي شنها المسلحون على ساحة الاعتصام نفسه، وإنّهاءً بالمسيرات والمواكب الديمقراطية في صيف 2019.

إن استعرض حقبة ثورية معقدة بهذه الطريقة المقتضبة ليس أمرًا يسيرًا، كما أن ضيق الحيز المُتاح في هذا الكتاب لا يسمح بتناول كافة جوانبها بالعمق الذي تستحقه، لكن مما لا شك فيه أن جميع القراء الذين يعشقون الصور الجميلة أو الثورات «الجميلة» سيجدون ههنا ما يُشبع رغبتهم في استكشاف ذلك السودان الرائع، والذي لا نعرف عنه الكثير مع ذلك ■

ISBN 978-2-918157-51-9



version numérique gratuite

soleb

5 rue Guy-de-la-Brosse
75005 Paris